Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/64/2012 To 2014 R. No. (U.P.ARA/2000/2341)
Monthly
AL-BAAS-EL-ISLAMI
Vol: 59 Issue:04 ber 2013

إصدارات حديث

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press. Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

المجلد ٥٩

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الخامس ـ المجلد التاسع والخمسون ـ محرم وصفر ١٤٣٥ هـ نوفمبر وديسمبر ٢٠١٣م

- القرآن آخر كتاب للهداية الربانية
- ماذا تعني الخلافة في الأرض ؟!
- مرحلة اختبار للقيادات الإسلامية وصلاحيتها لمواجهة الوضع ومعالجته
- لِمَ ينتصر الكافر على المسلم ؟
- الشيخ رحمة الله ومناظرته مع القس فندر
- شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية
- الأسس الشرعية للتفاهم والتقارب مع الديانات
- الخط العربي في مواجهة تحديات العصر
- أم البخاري

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat,
P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221 E-mail: albaas1955@gmail.com, nadwa@sancharnet.in

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٥٩

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الخامس – المجلد التاسع والخمسون – محرم وصفر ١٤٣٥هـ نوفمبر وديسمبر ٢٠١٣م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد ابوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ – ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي

وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT

NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,

LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الخامس – المجلد التاسع والخمسون – محرم وصفر ١٤٣٥هـ نوفمبر وديسمبر ٢٠١٣م

الافتتاحية :		
ماذا تعني الخلافة في الأرض ؟!	سعيد الأعظمي الندوي	٣
التوجيه الإسلامي :		
القرآن آخر كتاب للهداية الربانية	سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي	٧
لِمَ ينتصر الكافر على المسلم ؟	الإمام الداعية بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي	١٩
شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية	الدكتور غريب جمعة	٢١
الدعوة الإسلامية :		
الأسس الشرعية للتفاهم والتقارب مع الديانات	الدكتور محمد شاهجهان الندوي	٢٧
كيف نحمي كرامة نبينا ؟	الدكتور ثمامة فيصل	٣٦
أسرار عجيبة للصلاة في مفاصل الركبتين	الدكتور إبراهيم الراوي	٣٨
الفقه الإسلامي :		
القروض في الإسلام	الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد	٤٠
رجالات التاريخ :		
ابن تيمية في مواجهة المغول	معالي الدكتور راشد عبد الله أحمد الفرحان	٤٩
الشيخ رحمة الله ومناظرته مع القس فندر	الدكتور محمد بن سعد الشويعر	٥١
أم البخاري	الدكتور عبد الحكيم الأنيس	٥٥
دراسات وأبحاث :		
الموالي في عهد النبي ﷺ وأشهر العلماء منهم	الأستاذ محمد علي الوافي	٥٧
الخط العربي في مواجهة تحديات العصر	الدكتور سعيد بن مخاشن	٧١
صور وأوضاع :		
مرحلة اختيار القيادات الإسلامية وصلاحيتها لمواجهة الوضع ومعالجته	محمد واضح رشيد الحسني الندوي	٧٨
من كنوز القرآن الكريم :		
تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي	محمد فرمان الندوي	٨٣
من الشعر والأدب :		
خير المهور ❖ وداعاً فلذة الكبد	د/محي الدين عطية	٨٩
أخبار ثقافية واجتماعية :		
ندوة علمية لمجمع الفقه الإسلامي (الهند)	قلم التحرير	٩٠
وفد علماء ماليزيا يزور ندوة العلماء	. . . .	٩١
إصدارات جديدة :		
"أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية"	قلم التحرير	٩٢
"مذكرات رحلة حج لأميرة بوفال "سكندر بيجوم"	. . . .	٩٣
"تطور الآداب العربية ومراكزها في الهند"	. . . .	٩٤
"النثر العربي المعاصر في الهند"	. . . .	٩٥
"نظام الوقف في الإسلام"	. . . .	٩٥
١ – تاريخ الإسلام وثقافته في الهند وباكستان ٢ – سفر قاديان ٣ – الإخوان المسلمون من الشنق إلى الحكم		٩٦
إلى رحمة الله تعالى :		
فضيلة الحاج السيد غلام محمد الفتني إلى رحمة الله تعالى	قلم التحرير	٩٧
الأستاذ الدكتور السيد عبد الباري في ذمة الله تعالى	. . . .	٩٨
الحاج عبد الرؤوف خان إلى رحمة الله تعالى	. . . .	٩٩
والد الأخ اختر سهيل إلى رحمة الله تعالى	. . . .	٩٩
رحيل والدة فضيلة الأخ الدكتور محمد أكرم الندوي إلى رحمة الله تعالى	. . . .	١٠٠

خزينة الكتب لشيخ العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

ماذا تعني الخلافة في الأرض ؟!

إذا رجعنا إلى فجر التاريخ الإنساني ومبدء الخلافة في الأرض في ضوء كتاب الله سبحانه وتعالى الذي بشر الملائكة بإقامة خليفة في الأرض وقال : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فكان الجواب ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كأنهم كانوا قد تعلموا طبيعة الإنسان قبل أن ينال تربية صالحة وقبل أن يذوق طعم العبادة لله تعالى ولذة الطاعة له ، ولكن قضاء الله تعالى كان مبرماً رغم كل دليل ، ولا يحول دون تنفيذه شيئ مهما كان ، فلم يكن لهذا الإنكار أي تأثير في القضاء المبرم : إنما كان في علم الله تعالى أن مهمة الخلافة تسد على أبواب الفساد وسفك الدماء ، وتفتح له طريق الحق والعدل مستقيماً ، فمن سلك مسلكه وعرف مسئولية الخلافة وأداها بدقة وأمانة فله أن يقوم بدعوة الناس جميعاً إلى تحقيق الغاية التي خلق من أجلها الجن والإنس ، وهي العبادة التي إذا تحققت في حياة هذا الكائن الحيّ كان نموذجاً لجنس الإنسان والجن وحظي بالسلامة والسعادة ودخل في جماعة السعداء الذين بشرهم الله تعالى بالجنة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (سورة هود الآية/١٠٨) .

"وقد استدل القرطبي وغيره من المفسرين بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ويقطع تنازعهم ، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم ، ويقيم الحدود ، ويزجر عن تعاطي الفواحش ، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا تمكن إقامتها إلا بالإمام" .

وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة : إن الله تعالى قال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا : ربنا ما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً ، قال ابن جرير : وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه ، (تفسير ابن كثير في تفسير الآية في سورة البقرة) .

إن هذه الخلافة التي أكرم الله سبحانه بها آدم لم تكن إلا لعمارة

العالم البشري بمتطلباته و وضع طاقات بني آدم في بنائه وترسيخ دعائم العبادة المطلوبة من خلق هذا الكائن من الجن والإنس ، وذلك بتطبيق النظام المنزل من السماء إلى آدم عليه السلام والأنبياء والرسل الذين تتابعوا بعده في هذا العالم وتحملوا مسئولية دعوة الناس إلى معرفة العلاقة القائمة بين العبد والمعبود واتباع الشرائع والقوانين الإلهية التي تتولى سعادة الحياة والكون والإنسان ، وتحول دون كل شقاء يؤدي إلى الفساد وسفك الدماء ، الأمر الذي حذر منه الملائكة يوم إعلان الخلافة في الأرض من الله تعالى ، وما كان ذلك إلا لكي يجعل الله سبحانه هذا الكون الأرضي بما فيه من مظاهر وأشكال ، وكائنات من ذوي العقل ، والبر والبحر والجماد والنبات والجبال والدواب ذات الحياة والشعور ، تحت أوامر الله تعالى بأداء وظيفة العبودية والخضوع والسجود له سبحانه وتعالى ، اقرأوا ما جاء في سورة الحج/١٨ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ .

إذن ليست الخلافة في الأرض لمجرد العيش في الدنيا كيفما شاء أهلها ، بل لتفجير منابع الحق وحاكمية الله تعالى في العالم كله ، والفرار كل الفرار من اتباع الهوى ومن الوقوع في المهالك ومهاوي المعصية السحيقة ، إذ لا يعني اتباع هوى النفس إلا محاربة شريعة الله العادلة الخالدة والفضائل التي أنزلها لعباده المؤمنين ، وذلك هو الضلال والانحراف عن شرعة الحق وعن اتباع الصراط المستقيم المنصوص عليه في كتاب الله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ .

ولما أكرم الله سبحانه عبده داؤد بشرف النبوة وبشره بمنح منصب الخلافة في الأرض ، وآتاه الحكم والحكمة ليحكم بهما بين الناس ، حذره بالطبيعة من اتباع الهوى الذي هو أخطر على المرء من كل سلاح مدمر ومن كل مرض فتاك ، فلا يلبث أن يقع في هاوية المعاصي والضلالات من كل نوع ، ويختفي عليه سبيل الحق والهدى ، وبالتالي يغمره الضلال عن سبيل الله تعالى ويؤديه إلى أشنع عاقبة وأقبح مصير ، وهو أن يتناسى يوم القيامة الذي يقوم فيه ميزان الحساب ويواجه فيه كل إنسان محاسبة أعماله كلها ، فإذا بالذي ضل عن سبيل الله تعالى وعاش في الدنيا ناسياً سبيله يواجه عذاباً شديداً ويتعرض لعاقبته الوخيمة التي هي أشد من كل

عذاب وعقاب .

لقد تحدث سبحانه وتعالى عن عبده داؤد بعد ما خلع عليه خلعة الحكم والنبوة وهو يمتن عليه بهذه المنحة الغالية ويخاطبه بالنداء :

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص الآية/٢٦) .

إن هذه الآية تلقي ضوءاً لامعاً على الخلافة ونتائجها في العالم البشري بوجه خاص ، ومن ثم كانت مسئوليتها ضخمة ودقيقة لا يكاد يتحملها كل البشر ، إنها تطالب الخليفة قبل كل شيئ أن يكون نموذجاً عالياً في التمسك بالحق حتى يأتي إليه الناس للتحاكم بالحق والعدل من غير انحياز إلى جانب دون جانب ، ومن غير مراعاة ومحاباة بين القريب والبعيد ، والغني والفقير ، فلا يكون في حكمه إلا ملتزماً بالحق في جميع الأحوال والظروف امتثالاً لأمر الله تعالى الذي جاء بصيغة الأمر (فاحكم) ، ولعل ذلك يعني أن أول علامة للخلافة في الأرض هي نصر الحق ونشر العدل في الحكم بين القضايا ، فليس لاتباع الهوى أي مدخل في هذه المهمة الجليلة ، وليس لذرية إبليس سبيل إلى الحيد به عن طريق الحق والعدل ، أو إدخال شائبة من الهوى في الحكم العادل والقضاء المحكم ، ثم جاء القرار الفاصل للذين يتولون الضلال عن سبيل الله تعالى ، ولا يخجلون أبداً على ما تخيروه من الغواية والضلال ومحاربة الهدى والرشاد ، فلا بد من أن يتناسوا أن هناك يوماً لا يقدرون على الفرار منه ولا يستطيعون أن يلجأوا إلى مأمن منه ، ويتمثل أمامهم يوم الحساب الذي كان منسياً بكل تعمد وجراءة ووقاحة ، ولهم عذاب شديد وأكيد لا ينجون منه بأيّ حال ، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية :

"هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله ، وقد توعد الله سبحانه وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح ، حدثني إبراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له : أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت ؟ فقلت يا أمير

المؤمنين أقول ؟ قال : قل في أمان الله ، قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت أكرم على الله أو داؤد عليه الصلاة والسلام ، إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعده في كتابه فقال : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (تفسير سورة ص الآية/٢٦) .

وكل من يقوم بأمانة الخلافة في الأرض يهتم ببناء الأرض وعمارتها ويجتهد في تنمية وسائل الحياة فيها ، مع ذلك يتخلله الإفساد في الأرض ممن لم يتلقوا تربية صالحة ولم تعمر قلوبهم بالإيمان بالله ورسوله ولم تصح عقيدتهم بالوحدانية ، وبمن اختارهم الله تعالى للرسالة السماوية وإبلاغها إلى بني آدم وذريته ، ذاك أن الإنسان بطبيعته ميّال نحو الإفساد والقتل وسفك الدماء فكانت حكمة بعثة الأنبياء والرسل بينة واضحة في التفريق بين الحق والباطل ، والخير والشر ، لأتباعهم ، حتى يقيموا عليهم الحجة في أداء أمانة الخلافة .

ومن ثم تتبين لنا حكمة قيام الخلافة الراشدة بعد وفاة النبي ﷺ ؟ فقد كان عهد الخلفاء الراشدين مزدهراً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجميع ما فيهما من المعاني والمفاهيم ، وتاريخ هذا العهد يزدهر ببناء المجتمع الصالح وإنشاء دولة الإسلام التي تزخر بذخائر الأعمال الدعوية ونشر الأمن والسلام والعز والسعادة والغلبة للإسلام والمسلمين ، شرقاً وغرباً ، فكان مثالاً للخلافة الإسلامية الأصيلة التي كانت نتيجة الفتح المبين ، ذلك الذي أُكرم به النبي ﷺ والمؤمنون بفضل من الله تعالى ، فكان أساساً لبناء صرح الدولة الإسلامية عالياً .

وتمت بيعة المسلمين على يد رسول الله ﷺ يوم ذاك على الجهاد ضد الكافرين والمانعين عن أداء العمرة ، ونمت هذه البيعة وترعرعت وسببت الفتح المبين فكانت مبدء عهد الغلبة وقيام دولة الإسلام والخلافة التي ترمز إلى الدخول في الإسلام كافة وامتثال أوامره والامتناع عن النواهي بصورة كاملة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٠٨) .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٤/١١/٢٠هـ ٢٠١٣/٠٩/٢٧م

التوجيه الإسلامي :

القرآن آخر كتاب للهداية الربانية

بقلم : سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

إن العلم الذي وُهب للاستقامة على الصراط المستقيم مصدره الوحي المتلو أي الكلام الرباني الذي جاء في سورة القرآن ، ولمزيد من الإيضاح والبيان مُنح الوحي غير المتلو وهو الحديث النبوي الشريف ونزل القرآن الكريم بطريق معجز جامع وفي أسلوب فريد منوع ، يليق بجلال الله وعظمته ، فجمع فيه جميع جوانب الحياة بأحسن وجه ، وذكرت فيه فكرة جامعة للدين ، وكون الله عز وجل إلهاً ، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ آخر نبي ، وشروط عبادة رب العالمين ، والإيمان بالله والإيمان بالآخرة والإيمان بالرسل والأنبياء والملائكة والكتب السماوية والإيمان بالغيب والجنة والنار ، وحقيقة الروح ، ومعرفة الحق والباطل ، والجن والشياطين ، والعقيدة والعمل ، والدعوة إلى الحق ، والقتال ، والقضايا الاجتماعية ، وتزكية الأخلاق ، والأحكام القضائية للشئون المالية ، والأمور السياسية ، والزراعة والتجارة ، وقصص مؤثرة ومفيدة للأمم الماضية ، واستعراض للديانات الأخرى ، أضف إلى ذلك أن الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن كآخر الكتب السماوية المنزلة ، وأكمل الصحف لمعرفة الخصايص الإنسانية إلى يوم القيامة ، وهيأ له وسائله وأسبابه ، وجعل منهجه سهلاً وجديراً بالعمل ، يستمر به حفظه بكل أمانة ، ذاك أن تلاوته وقراءته جعلت عبادةً ، فلزم أن تقرأ آياته في الصلوات كلها ، ولا تقبل صلاة بدونها ، ثم عين أجر جزيل على تلاوته ، يعتبر كل مسلم صادق قراءته وتلاوته مفيدة ولازمة نيلاً لأجره ، ويعنى بحفظه تحقيقاً لهذه الحاجة ، فيحفظه آلاف من الناس ، فلا تحفظ كلماته ومفرداته فحسب ، بل كل حرف من حروفه ، لأن رجلاً إذا أخطأ في قراءته وتلاوته آخذه مئات من الناس وصححوه .

على كل ، فإن هذا الكتاب الأخير ، المنزل من الله الذي هو مصدر الأحكام الإلهية والهداية الربانية يحمل توجيهات لجميع جوانب

الحياة الإنسانية ، وقد ذكرت فيه الأمور اللازمة لها ، فأخبر الإنسان بكل ما يحتاج إليه ، وورد ذكر عدة أمم على سبيل المثال ، ضلت سواء السبيل ، فأرسل الله الأنبياء والرسل لهدايتهم ، وحذروا من العواقب التي أصيبت بها الأمم الماضية ، فقال ضمن العذاب الذي أصيبوا به في الحياة الدنيا : ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٦) . .

إن هذا الكتاب الأخير المنزل من الله جزء من كتاب علمه الشامل "أم الكتاب" ، وكان ثقيلاً على السماوات والأرض والجبال بنسبته إلى الله تعالى مباشرة ، لكن جعل قلب الإنسان صالحاً لقبوله ، هدايةً للناس ، وقد نزل القرآن وهو يحتوي على الجوانب التي لها علاقة بالحياة العملية للإنسان ، لأنه آخر الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء من رب العالمين ، وورد فيه ذكر طغيان عديد من الأمم الماضية والتخويف من عواقبها على سبيل المثال ، بحيث يملك الإنسان خيار الهداية والتذكير أو الاستهانة بها معاً ، فإذا استفاد منها واعتبر وجد جزاء حسناً لها ، واستحق الجنة مقراً سماوياً ، وإذا لم يعرف قدرها ، كان مقره جهنم خالداً فيها .

نزول القرآن وصيانته :

قال الله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ❖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (سورة الشعراء الآيتان/١٩٣ – ١٩٤) .

فكان الملك جبرئيل عليه السلام يأتي بالوحي من الله تعالى إلى محمد ﷺ ، ويسمعه ويردده ويملي عليه ، قالت أم سلمة رضي الله عنها : كان جبرئيل عليه السلام يملي الوحي على رسول الله ﷺ ، ثم رتبت السور والآيات المكتوبة بغاية من الدقة والحذر وفق الوحي المنزل ، في عهد خلافة أبي بكر الصديق في نسخة ، ثم أعدت نسخ عديدة وأرسلت إلى مناطق مختلفة في خلافة عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بكل حيطة وحذر ، فانتشرت وعمت هذه النسخ بطريقة كاملة وبنظام موثق في المناطق ، وجعل الله لحفظها إلى يوم القيامة نظاماً فطرياً يحفظ به آلاف من الناس ، وهم منتشرون في جميع أنحاء العالم ، فلا يرى أدنى خلاف في قراءتهم وحفظهم .

أسماء مختلفة للقرآن :

إن المفسر المشهور والمؤرخ الكبير والكاتب النابغ أبا الفضل جلال

الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الذي يُعرف بالإمام السيوطي ، والذي بلغت تصانيفه ٥٦١/مؤلفاً ، ذكر في كتابه القيم : الإتقان في علوم القرآن ج ٥/١ ، خمسة وخمسين اسما للقرآن الكريم ، فمن مزاياه الأساسية أن أصلها يوجد في سور القرآن ، نذكر هنا عدة أسماء :

الكتاب ، المبين ، الكلام ، الفرقان ، القرآن ، الكريم ، النور ، التنزيل ، الموعظة ، الحكمة ، الهدى ، الخير ، البيان ، النعمة ، الروح ، الرحمن ، المبارك ، المصدق ، الحبل ، الصراط المستقيم ، الوحي العربي ، الحق ، العلم ، الهادي ، العجب ، العروة الوثقى ، الصحف ، المكرم (١) .

هذه الأسماء كلها تدل على الصفات والخصايص التي توجد في الكلام الإلهي ، واستعملت في القرآن منسوبةً إليها ، وذكر في الإتقان ٤٥ اسماً للقرآن مزيداً أيضاً غير هذه الأسماء ، لكن اسم القرآن معروف ، ومتداول كثيراً في الأمة الإسلامية لغة ومعنى ، وهذه الكلمة ليست صفة فحسب ، بل ذكرها الله تعالى في كتابه ، وهي محبوبة لديه ، وقد استعملت هذه الكلمة في مواضع متعددة من كلامه الإلهي لمجموعة من الأسرار والدقائق ، وورد ذكر القرآن عدة مرات في الكلام الإلهي : مثلاً قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٥) وقال : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ (سورة يونس الآية/٦١) وقال : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (سورة بني إسرائيل الآية/١٠٦) وقال : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (سورة طه الآية/١١٤) وقال : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (سورة الفرقان الآية/٣٢) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (سورة القصص الآية/٨٥) وقال : ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ❖ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النمل الآيتان/١ – ٢)

(١) قال السيوطي : قال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذلة في كتاب البرهان : اعلم أن الله سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسماً (النوع السابع عشر في معرفة أسمائه وأسماء سوره الإتقان ج ١ /١٤٣ – ١٤٦) .

وقال : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (سورة الروم الآية/٨٥) .

الوحي الإلهي ونزوله :

الإنسان يحتاج إلى العلم للعيش في هذه الدنيا ، فقد خلق الله له ثلاثة أشياء يعرف بها الأمور اللازمة لحياته ، إحداها : الحواس الخمس للإنسان (العين ، الأنف ، الفم ، اليد ، الرجل) وثانيها : العقل ، وثالثها : الوحي .

إن الوسيلتين الأوليين يكثر استعمالهما عامة ، وعم لهما رواج ، ويعتبرها أهل الدنيا من الأمور الكافية ، ولا شك أن تأثيرهما وإن كان كثيراً ، لكن إلى حد ، لا تبلغان إلى ماوراءهما ، والذريعة الثالثة : الوحي ، فلا يعرف بالحواس ولا بالعقل ، بل يوحى إلى عبد اصطفاه الله تعالى لرسالته ، وهو يكون في صورتين : متلوة وغير متلوة ، فالوحي المتلو ينزل في كلمات الله وحروفه الخالصة ، وسمي بالكتب السماوية ، وبما أن حروفه منزلة من الله تعالى فتكون تلاوته مبعث أجر ، وقد أنزل هذا الوحي المتلو على الأنبياء والرسل في الأمم الماضية ، كالتوراة والإنجيل ، وآخر سلسلة له القرآن الكريم وهو يجمع بين أحكام الكتب السماوية الماضية والأحكام الجديدة ، أما الوحي الذي ينزل في صورة صحيفة وكلمات معينة وألهمت معانيه ومواده قلوب الأنبياء ، فسماه النبي ﷺ بالوحي غير المتلو (الحديث النبوي) ، وله نوعان أيضاً ، وقد بينه النبي ﷺ بالإشارة إليه أن الله سبحانه قال ، أو يقول ، ويعرف بالحديث القدسي وهو نوع خاص أعلى درجة للحديث الشريف ، فهذه الأحاديث ليست بكثيرة ، وتراث الحديث الشريف غير ذلك الذي يفصل أحكام الشريعة والوحي المتلو تفسير للقرآن الكريم .

انتهت مدة نزول الوحي المتلو على سيد المرسلين محمد ﷺ ، فلا ينزل على أحد ، وليست الحاجة إليه ، بكونه خاتم النبيين لا نبي بعده .

كيفيات مختلفة لنزول الوحي :

كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ في صور مختلفة ، جاء في صحيح البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليَّ ، فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ،

وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني ، فأعي ما يقول ، (باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم الحديث/٢) .

وحينما ينزل الوحي بهذه الصورة كان النبي ﷺ يشعر بشدته ، وورد في آخر قطعة من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً ، وتارة تشتد هذه الحالة حتى كادت الدابة تثاقل إلى الأرض بثقل الوحي ، هذا هو الوزن السماوي المقدس العظيم للكلام الإلهي الذي يظهر جلياً ، رغم أنه جعل صالحاً للقبول والتحمل ، وكان أثره أن فخذ رسول الله ﷺ مرة كان على فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه ، فبدأ نزول الوحي ، فشعر زيد رضي الله عنه بثقل شديد ، وأحس أن فخذه ﷺ ترض فخذه ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا نزل الوحي كان له (النبي ﷺ) دوي كدوي النحل .

والصورة الثانية للوحي أن يتمثل له الملك رجلاً ، ويأتيه في صورة بشر ، بوحي الله تعالى ، بهذه المناسبة يأتي جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي ، وفي بعض الأحيان في صور أخرى .

والصورة الثالثة أن يرى جبريل عليه السلام في صورته الأصلية ، لكن وقع هذا مرتين فقط ، كما ورد في الحديث الصحيح .

والصورة الرابعة أن يكلمه الله بدون واسطة أو بواسطة ، ونال رسول الله ﷺ هذا الشرف العظيم في اليقظة مرة في المعراج ، غير أن الله تعالى كلمة في الرؤيا أيضاً مرة .

والصورة الخامسة أن ينفث جبريل عليه السلام في روح محمد ﷺ بدون تمثله صورة ، وهي تعرف بنفث في الروع (٢) .

نزل القرآن في ليلة القدر من رمضان المبارك إلى السماء الدنيا ، ثم استمر نزوله في مجموعة آيات قصيرة أو قطع كبيرة آيتين أو أربع آيات أحياناً وركوعاً أو ركوعين أحياناً أخرى ، أو سورة حسب الحاجة والمناسبة ، على قلب رسول الله ﷺ ، وتم ذلك في ٢٣/عاماً أخيراً من عمره تدريجياً ،

(٢) انظر للتفصيل : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ومناهل العرفان للزرقاني ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي

واختير أسلوب التدرج ليسهل فهمه وحفظه في القلوب ، ونظراً إلى حدوث التغير في طبائع العرب وعاداتهم وأمزتهم ووجهات أنظارهم النفسية .

القرآن محفوظ في اللوح المحفوظ عند الله عز وجل : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (سورة البروج الآيتان/٢١ – ٢٢) لا يمكن أدنى تغيير فيه ، ثم نزل على رسول الله ﷺ بحفظ وصيانة بالغتين تدريجياً .

قد بدأ قبل نزول القرآن إراءة الرؤى الصالحة ، وهي صورة تشبه الوحي الإلهي ، وبدأت سلسلتها حينما كان النبي ﷺ يتشوق إلى ذكر الله في الخلوة ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه (وهو التعبد) الليالي ذوات العدد ، ثم جاءه ملك من الله في الغار نفسه ، في بداية نبوته ، وأقرأ عدة آيات من القرآن ، فابتدأ نزول الوحي القرآني عليه .

كانت بداية نزول القرآن يوم الخميس ١٧/رمضان المبارك في عام ٤/من مولد النبي ﷺ ، الموافق ٦١٠م ، بعد صلاة المغرب ، وكان النبي ﷺ مشغولاً في الذكر الإلهي في غار حراء بوادي العصب ، وكان الناس يسمونه في الزمن الجاهلي بجبل الحمراء ، واليوم بجبل النور ، وهو على بُعد ثلاثة أميال من الكعبة المقدسة بمكة ، ثم نزلت خمس آيات من القرآن فيه ، وهي أول آيات سورة العلق ، ثم انقطع الوحي فترة ، فظل رسول الله ﷺ حزيناً ، ثم استمر نزول الوحي ، وظهر جبريل عليه السلام أمام رسول الله ﷺ في صورته التي إذا رآها أحد دهش وتحير ، ونزلت عدة آيات هذه المرة على رسول الله ﷺ ، وما زالت تنزل تدريجياً زمن إقامته مكة ، وتختزن في ذاكرة رسول الله ﷺ تارة في سورة وجيزة ، أو في كاملة طويلة تارة أخرى ، وتصل إلى المسلمين الجدد ، سواء كانوا قريباً من النبي ﷺ أو بعيداً ، وكان المسلمون يحفظون القرآن سماعاً من رسول الله ﷺ في أذهانهم ، واستمر نزول الوحي على رسول الله ﷺ بعد هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة ، فوفقاً للوحي الرباني كان رسول الله ﷺ يملي سور القرآن بنسق وترتيب ، حتى نزل آخر وحي عليه بعرفة مساء يوم الجمعة في ٩/ذي الحجة عام ١٠/من الهجرة ، المصادف ٦٣٢م ، هذا الوحي الأخير هو الآية الثالثة ، من سورة المائدة ، فكانت مدة نزول القرآن الكاملة عامان وشهران و ١٢/يوماً ، إن ترتيب القرآن يختلف ترتيب نزوله ، وهو يبتدئ من

سورة الفاتحة إلى سورة الناس .

يشتمل القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس على ٣٠/جزءً ، وجمعت ١١٤/سورةً ، عدد آياته ٦٦٦٦ ، وعدد كلماته ٧٧٤٣٩ ، والعدد الضخم لحروف القرآن ٣٢٣٩٣٧ ، وفي القرآن ٥٥٨ ، ركوعاً ، وسبعة منازل .

أول وآخر ما نزل من القرآن :

أول ما نزل من القرآن خمس آيات ابتدائية ، ذكر فيها أن القراءة والتعليم منوطة باسم الله عز وجل ، ومثل هذا يحمل أهمية كبيرة لرجل أمي ، وفيه إشارة خاصة بأن العلم كانت له أهمية خاصة عند بداية هذه الأمة ، أما انتماء العلم إلى الله عز وجل فمعناه أن حصول العلم باسم الله تعالى واجب ، وفي الآيات ذكر القلم أيضاً الذي هو ذريعة لنشر العلم ، وخلوده وتوسعة نطاق نفعه ، قال الله : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق الآيات/١ – ٥) .

وآخر ما نزل هو ما قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٨١) .

هذه الآيات ترشد الإنسان إلى نهايته في الدنيا أنه يغادر هذه الدنيا ، فيحاسب في الآخرة على ما عمل ، ثم يجزى جزاء أعماله الصالحة والسيئة (٣) .

السور المكية والمدنية :

مكث رسول الله ﷺ ١٣/عاماً بعد النبوة في مكة المكرمة ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة بإذن ربه ، والمدينة تقع على بعد ٤٥٠ كم من مكة المكرمة ، فالسورة التي نزلت قبل الهجرة في العهد المكي تعرف بالسور المكية ، والسور التي نزلت بعد الهجرة في العهد المدني تعرف بالمدنية ، ومجموعها ١٤/سورة ، فعدد السور المكية ٨٦ ، والمدينة ٢٨ ، إن السور والآيات المكية قصيرة ومختصرة ، والسور المدنية طويلة مفصلة (٤) .

إن السورة المكية تشتمل عامة على التوحيد ، وإثبات الآخرة وتصوير

(٣) الإتقان في علوم القرآن ج/١/ ٦٨ – ٨١ .

(٤) مناهل العرفان للزرقاني ١٧٦/١ .

أحوال الحشر والنشر وتسلية النبي ﷺ ، وعلى ذكر قصص الأمم الماضية ، وورد ذكر الأحكام والقوانين قليلاً ، وبالعكس أن السور المدنية تتناول ذكر قوانين الاجتماع وسياسة المدن ، وأحكام القتال والحدود والفرائض .

إن أسلوب السور قوي محكم ، وتكثر فيها الاستعارات والتشبيهات والتمثيلات ، والمفردات ، وإن أسلوب السور المدنية بسيط معتدل .

المنازل :

في القرآن سبعة منازل ، أولها من سورة الفاتحة إلى سورة النساء ، وثانيها من سورة المائدة إلى سورة التوبة ، وثالثها من سورة يونس إلى سورة النحل ، ورابعها من سورة الإسراء إلى سورة الفرقان ، وخامسها من سورة الشعراء إلى سورة يس ، وسادسها من سورة الصافات إلى الحجرات ، وسابعها من ق والقرآن المجيد إلى سورة الناس ، وتكتب عند كل حد كلمة "منزل" .

تقسيم السور والآيات وترتيبها :

إن الترتيب القائم في القرآن ليس ترتيب نزوله ، وكان نزول القرآن وفقاً للأحوال والمناسبات المختلفة ثم رتب ترتيباً خاصا بالتلاوة ، وإن سورة العلق تقع في الترتيب في القرآن ٩٦ ، لكنها أول سورة من حيث النزول ، وإن سورة الفاتحة أول سور القرآن بالترتيب ، لكنها السورة الخامسة من حيث النزول ، فالترتيب القائم في القرآن باعتبار المعاني ، وهو بوحي من الله تعالى .

كلما نزلت سورة ، أو آية ، أشار جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ بموضعها في الترتيب ، ويملي عليه ، ثم يحفظها الصحابة رضي الله عنهم بهذا الترتيب ، إن تقسيم السور وترتيبها وترتيب آياتها توقيفي ، أي منزل من الله تعالى ، لم يذكره النبي ﷺ من قبله ، فكما أمره الله تعالى أخبر به الناس ، حتى إن أسماء سور القرآن وعددها ، وبدايتها ونهايتها وعدد مجموع آياتها والوقف عليها محددة من الله تعالى ، وليس فيها دخل لمشيئة النبي ﷺ ورأيه وحبه واختياره ، وقد قسم العلماء الماهرون القرآن إلى أجزاء وركوعات ومنازل ، ليسهل حفظه وتلاوته ، وتؤدى الصلاة وأركانها باعتدال وسكينة ، فلا تكتب هذه العلامات في المتن ، بل في الحواشي خارج المتن .

كتابة القرآن :

الميزة البارزة للقرآن التي لم يتصف بها كتاب إلهي آخر هي أن القرآن لا يزال يتلى من أول يومه ، ويعلّم ويدرّس ويكتب ، ولم يحدث في حروفه وجمله أدنى شك وشبهة ، وابتدأت كتابته من اليوم الرابع لنزوله ، فإن خالد بن سعيد هو أول الصحابة السعداء ، الذي تشرف بكتابة الوحي بعد دخوله في الإسلام في العهد النبوي ، وقد عين رسول الله ﷺ ٤٥/صحابياً لكتابة الوحي ، وحنظلة بن الربيع كان يلازم النبي ﷺ كل وقت ، ليقيد الوحي الذي ينزل عليه فوراً ، وحينما يفرغ الكاتب من كتابته كان يستمع النبي ﷺ إلى ما كتب ودُوِّن ، وإذا صدق النبي ﷺ ببراءته من اختلاف القراءة ، وصحة النطق وسلامته من الخطأ ، أعلن لحفظه وكتابته إعلاناً عاماً ، ثم يحفظه الحفاظ ويكتبه الكاتبون ، فكانت خطوات الصيانة الكتابية واللسانية لترتيب وجمع القرآن قد كملت بأمر من الله تعالى بواسطة جبرئيل عليه السلام تحت إشراف رسول الله ﷺ مباشرة ، هذه حقيقة ناصعة جلية كالشمس في رابعة النهار ، اعترف بها غير المسلمين أيضاً ، قال سروليم ميور : هذا القول مدعم بالدلائل أن جميع القرآن متفرقاً أو النسخ المكتوبة للقرآن كله ، كانت عند الصحابة رضي الله عنهم في العهد النبوي ، وقال الدكتور رادويل : كانت نسخ القرآن موجودة في عهد النبوة بصورة خطية .

جمع وتدوين القرآن :

١- على كل ، فكان من المقرر من الأزل ومن أول الأمر في اللوح المحفوظ أساليب وكيفية نزول القرآن وآياته ومعانيه لمصالح دعوية ، وكيفية ترتيب آياته وسوره أي كانت وسائل تنزيل وجمع وصيانة القرآن معينة في علم الله عز وجل من قبل ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (سورة الفرقان الآية/٦) .

كيف لا ؟ لأن هذا الكتاب نزل من عند رب العالمين ، فلو نزله العليم الخبير لكان من اللازم أن تكون خطتا ترتيبه أي ترتيب نزوله وترتيب جمعه معينة في علم الله تعالى ، ومقدرة فيه .

٢- ولما كان القرآن في اللوح المحفوظ الذي هو مهبط التجليات الربانية

والإشراقات الإلهية ، كان عند ذلك هذان المنهجان للترتيب ، لأن فيه جميع التفاصيل عن تغييرات العالم ، وخص القرآن هذه الصورة بالذكر ، قال الله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (سورة البروج الآيتان/٢١ – ٢٢) .

اسم اللوح المحفوظ الثاني : الكتاب ، كم يحيط هذا السِّفر بالعلوم والمعارف ، فسره القرآن الكريم : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام الآية/٣٨) .

وقد عبر ديوان الحقائق والمعلومات هذا في القرآن عن اسم "أم الكتاب" ، قال الله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (سورة الرعد الآية/٣٩) .

كان رسول الله ﷺ يعتني بإملاء القرآن فضلاً عن حفظه ، عن عثمان رضي الله عنه قال : كان دأب رسول الله ﷺ أنه كلما نزلت آية من القرآن يقول لكتاب الوحي : ضعوا آية كذا في موضع كذا ، ففي العهد النبوي قد حفظ عدد كبير من الصحابة القرآن وكتبوه ، تحقيقاً لصيانته وعدم تعرضه للضياع ، وكان عدد الحفاظ ما يقارب عشرة آلاف ، أما الصحابة رضي الله عنهم الذين كان القرآن عندهم محفوظاً في صورة مكتوبة فكما قال الحافظ بدر الدين العيني شارح صحيح البخاري بأسم "عمدة القارئ" : عددهم لا يحصى .

قد اختير من الأشياء الثابتة الباقية القوية في العهد النبوي لكتابة الوحي : وهي الرقاع ، والجلد ، والليف ، واللخاف (صفائح الحجارة) ، والأكتاف ، وعظام الإبل ، والعسيب ، والكرانيف ، وقطع الأديم ، والجلد الرقيق ، والأقتاب ، وقطع كبيرة من أحمال الإبل ، لتكون هذه الكتابات مصونة إلى مدة طويلة من طوارئ الزمان ، وقد حفظ كثير من الصحابة القرآن بمرأى ومسمع من النبي ﷺ ، وكتبوه ، فصار محفوظاً في صدور مثل اللوح المحفوظ ، لكن ما كان مجموعاً في مجلد واحد ، بل كان مبعثراً مكتوباً على أشياء مختلفة ، وكان عند عدد من الصحابة وفي أمانتهم .

استشهد سبع مأة من حفظة القرآن في معركة اليرموك ضد مسيلمة الكذاب ، في عهد خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،

اضطرب له قلب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه شعوراً بحاجة الساعة ومقتضيات الوقت والأخطار المحدقة بالقرآن ، وأشار على سيدنا أبي بكر الصديق بجمع القرآن فوراً في صورة كتاب ، لأن القرآن ما زال باقياً حتى الآن في صدور حفاظ القرآن ، قبل أبو بكر رضي الله عنه رأي عمر رضي الله عنه نظراً إلى أهميته القصوى ، واستكتب النسخ الخاصة المسموعة مباشرة من النبي ﷺ بعد شهادات مؤيدة من أجزاء هذا القرآن المختلفة التي نزلت في اللهجات القرشية للغة العربية وقد نزل عليه ، بغاية من الإتقان والسعي المضني ، وسمي بالمصحف ، ثم أعدت نسخ جديدة نقلاً عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وبما أن الصحابة كانوا من قبائل شتى ، وكانت لهجاتهم وطرق نطقهم مختلفة ، يتلون بها القرآن ، وكانت هذه اللهجات مسموعة باسم سبعة أحرف ، فكان من الممكن أن يلتبس الأمر بفقدان الوحدة في النسخ المختلفة ، نسبةً إلى فروق لهجات القرآن ، عاجلاً أو آجلاً ، فتقدم سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى التفكير في أن دوائر الإسلام قد توسعت في العهد العثماني ، ودخل الناس من بلدان شتى في الإسلام فيمكن أن تحدث خلافات غير مناسبة ، رغم أن اختلاف لهجات القرآن حق ، وطلب سيدنا عثمان من أم المؤمنين السيدة حفصة أصل المصحف ، وخص عديداً من الصحابة زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن حارث ، رضي الله عنهم ، بإعداد نسخ منه فنشروا هذه النسخة الأساسية للقرآن ، في لهجة قريش وخط الكوفة ، هذه النسخة المضبوطة للقرآن كانت مطابقة لنسخة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكانت موثوقاً بها من العهد النبوي ، فلم يكن هناك مندوحة لتسرب أي فرق واختلاف إلى القلوب والأذهان عن صحة القرآن الكريم ، ثم أرسلت نقولات لها إلى المراكز العلمية أمثال مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والشام ، والبصرة ، واليمن ومدين ، ليتلو الناس وفق اللهجة الأصيلة غير اللهجات المختلفة حذراً وحيطة ، وبعث مع كل مصحف قارئاً مطلعاً على اللهجة العربية الخالصة ، لئلا يبقى خلاف للقراءة البتة ، ووضع سيدنا عثمان رضي الله عنه مصحفاً من هذه المصاحف عنده ، يطلق عليه اسم المصحف العثماني .

وعرف سيدنا عثمان رضي الله عنه بجامع القرآن بإنجاز هذا العمل المهم ، أي جامع الأمة الإسلامية على قراءة واحدة ، أما جمع القرآن فقط فقد كان في العهد النبوي غير مرتب ، وفي العهد الصديقي كان مرتباً .

استحسنت الأمة مأثرة سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وأيدها جميع الصحابة رضي الله عنهم ، قال علي رضي الله عنه : لا تقولوا عن عثمان إلا الخير ، أقسم بالله أن ما قام به في شأن المصحف كان بمشورتنا ورأينا .

إن نسخ القرآن الكريم كانت خالية من النقط والإعراب ، فكان يصعب قراءتها للعجم ، فلما اتسعت دائرة الإسلام في البلدان العجمية كانت الحاجة إلى أن توضع النقط وتشكل كلمات القرآن ، لأن يتلو الرجال الذين ليسوا عرباً قحاً بسهولة ، فتمت الموافقة على خطوات لازمة .

يوجد من بين هذه المصاحف العثمانية القديمة مصحفان سالمان كل نقص وعيب ، أحدهما في تاشقند ، وثانيها استانبول ، ولا يزالان موضع حيرة واستغراب لذوي البصر والبصيرة ، وآيتين من آيات قدرة الله ، إن النسخ الحالية للقرآن موافقة تماماً للمصحف العثماني ، فالقرآن موجود عندنا من دون تحريف أو تعديل ، أو نسخ ، أو نسبة زيادة ، وبدون فرق واختلاف ، بفضل الله وقدرته وكرمه في صورته الأصلية ، هذا دليل صيانة إلهية للقرآن وكونه كلاماً إلهياً ، لا يرد ، ويصدق الآن قول الله تعالى صحيحاً مأة في المأة بصورة عملية ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ❖ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (سورة حم السجدة الآيتان/٤١ – ٤٢) وقال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر الآية/٩) وقال : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة الآية/١٧) (❖) .

(❖) راجع لمزيد من التفصيل عن كتابة الوحي وجمع وتدوين القرآن : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ، وتاريخ القرآن لمحمد طاهر الكردي ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، وعلوم القرآن للدكتور صبحي صالح .

لِمَ ينتصر الكافر على المسلم ؟

بقلم :الإمام الداعية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي
ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي

أيها الصديق ! سألني أحدهم ذات يوم :

لما كان "الحق يعلو" (١) أمراً حقاً لا مراء فيه ، فلم ينتصر الكافر على المسلم ، وتغلب القوة على الحق ؟

قلت : تأمل في النقاط الأربع الآتية ، تنحل المعضلة .

النقطة الأولى :

لا يلزم أن تكون كل وسيلة من وسائل كل حق حقاً ، كما لا يلزم أيضاً أن تكون كل وسيلة من وسائل كل باطل باطلا .

فالنتيجة إذن : إن وسيلة حقة (ولو كانت في باطل) غالبة على وسيلة باطلة (ولو كانت في الحق) .

وعليه يكون : حق مغلوب لباطل مغلوب بوسيلته الباطلة ، أي مغلوب موقتاً ، وإلا فليس مغلوباً بذاته ، وليس دائماً ، لأن عاقبة الأمور تصير للحق دوماً .

أما القوة فلها من الحق نصيب ، وفيها سر للتفوق كامن في خلقتها .

النقطة الثانية :

بينما يجب أن تكون كل صفة من صفات المسلم مسلمة مثله ، إلا أن هذا ليس أمراً واقعاً ، ولا دائما !

ومثله ، لا يلزم أيضاً أن تكون صفات الكافر جميعها كافرة ولا نابعة من كفره .

وكذا الأمر في صفات الفاسق ، لا يشترط أن تكون جميعها فاسقة ، ولا ناشئة من فسقه .

إذن ، صفة مسلمة يتصف بها كافر تتغلب على صفة غير مشروعة لدى المسلم ، وبهذه الوساطة (والوسيلة الحقة) يكون ذلك الكافر غالباً على ذلك المسلم (الذي يحمل صفة غير مشروعة) .

ثم إن حق الحياة في الدنيا شامل وعام للجميع ، والكفر ليس مانعا لحق الحياة الذي هو تجل للرحمة العامة والذي ينطوي على سر الحكمة في الخلق .

---

(١) "الإسلام يعلو ولا يعلى" ، انظر : الدار قطني ٣/٢٥٢ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ٦/٢٠٥ ؛ الطبراني ، المعجم الأوسط ٦/١٢٨ ، المعجم الصغير ٢/١٥٥ ، والمشهور أيضاً على الألسنة : الحق يعلو ولا يعلى عليه ، كشف الخفاء ١/١٢٧ .

النقطة الثالثة :

لله سبحانه وتعالى تجليان – يتجلى بهما على المخلوقات – وهما تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا .

أولهما : الشرع التكويني – أو السنة الكونية – الذي هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة "الإرادة الإلهية" .

والثاني : الشريعة المعروفة الصادرة من صفة "الكلام الرباني" .

فكما أن هناك طاعة وعصياناً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة ، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية .

وغالباً ما يرى الأول (مطيع الشريعة والعاصي لها) جزاءه وثوابه في الدار الآخرة ، والثاني (مطيع السنن الكونية والعاصي لها) غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا .

فكما أن ثواب الصبر النصر ، وجزاء البطالة والتقاعس الذل والتسفل .

كذلك ثواب السعي الغنى ، وثواب الثبات التغلب .

مثلما أن نتيجة السم المرض ، وعاقبة الترياق والدواء ، الشفاء والعافية .

وتجتمع أحياناً أوامر الشريعتين معاً في شيء ، فلكل جهة .

فطاعة الأمر التكويني الذي هو حق ، هذه الطاعة غالبة – لأنها طاعة لأمر إلهي – على عصيان هذا الأمر بالمقابل ، لأن العصيان – لأيّ أمر تكويني – يندرج في الباطل ويصبح جزءاً منه .

فإذا ما أصبح حق وسيلة لباطل فسينتصر على باطل أصبح وسيلة لحق ، وتظهر النتيجة .

حق مغلوب أمام باطل ! ولكن ليس مغلوباً بذاته ، وإنما بوسيلته ، إذن فـ "الحق يعلو" يعلو بالذات ، والعقبى هي المرادة – فليس العلو قاصراً في الدنيا – إلا أن التقيّد والأخذ بحيثيات الحق مقصود ولا بد منه .

النقطة الرابعة :

إن ظل الحق كامنا في طور القوة (أي لم يخرج إلى طور الفعل المشاهد) أو كان مشوباً بشيء آخر ، أو مغشوشاً ، وتطلب الأمر كشف الحق وتزويده بقوة جديدة ، وجعله خالصاً زكياً ، يسلط عليه مؤقتاً باطل حتى يخلص الحق – نتيجة التدافع – من كل درن فيكون طيباً ، ولتظهر مدى قيمة سبيكة الحق الثمينة جداً .

فإذا ما انتصر الباطل في الدنيا – في مكان وزمان معينين – فقد كسب معركة ولم يكسب الحرب كلها ، لأن (العاقبة للمتقين) هي المآل الذي يؤول إليه الحق .

وهكذا الباطل مغلوب – حتى في غلبه الظاهر – وفي "الحق يعلو" سر كامن يدفع الباطل قهراً إلى العقاب في عقبى الدنيا أو الآخرة ، فهو يتطلع إلى العقبى ، وهكذا الحق غالب مهما ظهر أنه مغلوب !.

شرح قصيدة : "الكواكب الدرية

في مدح خير البرية" المعروفة (بالبردة)

(الحلقة الثالثة)

بقلم :الأستاذ الدكتور غريب جمعة
جدة – المملكة العربية السعودية

مَحَّضْتني النصح لكن لست أسمعه إن المحب عن العذّال في صمم (١)

(١) (قوله : محضتني النصح) لما لم يفد معه الاستعطاف فلم يرجع عن اللوم ، اعترف له بأنه أخلص له في النصح ، من باب التسليم الجدلي ليستريح منه فقال : "محصتني النصح" أي أخلصت لي النصح عن الأغراض كالالتفات إلى المحبوب ، فإذا كان اللائم له التفات إلى المحبوب لم يخلص النصح عن الأغراض ، بل له فيه غرض وهو اختصاص بالمحبوب ، بخلاف ما إذا كان ليس التفات إلى المحبوب ، فإنه قد أخلص النصح ، وما هنا من هذا القبيل ، على التسليم الجدلي .

وقوله : لكن لست أسمعه استدراك على قوله محصتني النصح ، والمنفي إنما هو سماع القبول ، وإلا فقد يسمعه ، بل قد يتلذذ به ، وقوله "إن المحب إلخ"... تعليل لقوله : لكن لست أسمعه ، فكأنه قال : إنما أسمعه لأن المحب إلخ ، وفي الحديث "حبك للشيء يعمي ويصم" (*) أي يعميك عن رؤية عيوبه ويصمك عن سماعها وقوله : عن العذال ، على تقدير مضاف أي عن نصحهم ، والعذال جمع عاذل وهو اللائم في الحب ، وقوله : في صمم لا يخفى ما فيه من المبالغة ، لأنه بالغ في الصمم ، حتى كأنه محيط بالمحب وجعله ظرفاً له ، والصمم : ضعف في قوة السمع ، فوق الوقر (*) أو دون الطرش ، ودون الصنج (*) أيضاً كما علم بالأولى ، ولذلك قال الثعالبي : "يقال في أذنه وقر ، فإن زاد فهو صمم ، فإن زاد فهو طرش ، فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج" .

وإنما خص المصنف الصمم بالذكر دون غيره ، وإن كان كل من الطرش ، والصنج أعلى منه ، لأنه هو الذي تستقيم عليه القافية .

(*) رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ ، وأبو داود والخرائطي في "اعتلال القلوب" عن أبي برزة وابن عساكر عن عبد الله بن أنيس رضي الله عن الجميع .

(*) قال في القاموس : "الوقر – بفتح الواو وسكون القاف – ثقل في الأذن أو ذهاب السمع كله .

(*) بفتح الصاد والنون ذهاب حاسة السمع .

إني اتهمت نصيح الشيب في عذل ... والشيب أبعد في نصح عن التهم (٢)

فإن أمّارَتي بالسوء ما اتعّظت ... من جهلها بنذير الشيب والهرم (٣)

---

(٢) (قوله إني اتهمت الخ) لما اعترف له عن طريق التسليم الجدلي بأنه محضه النصح فلم يرجع عن اللوم ، اتهمه في عذله فكأن السائل قال له : كيف تتهمني في العذل ؟ فقال له : إني اتهمت الخ ، أي فإذا اتهمت نصيح الشيب في عذله علي في الهوى ، والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح ، فكيف بالعاذل الذي ليس أبعد عن التهم في النصح ، بل من شأنه أن يتهم فيه .

والإضافة في قوله "نصيح الشيب للبيان أي نصيحاً هو الشيب ، أو من إضافة الصفة للموصوف أي شيباً ناصحاً ، وإنما كان الشيب ناصحاً ، لأنه يدل على قرب الأجل ، وحصول الموت الموجب لترك دواعي الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى ، وإنما دل على ذلك لأنه ليس بعد بياض الزرع إلا حصاده فهو ناصح بلسان الحال ، وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ (سورة فاطر الآية/٣٧) هو : الشيب .

وقوله في عذل متعلق باتهمت أي اتهمته في لومه عليّ في الهوى ودواعي الشباب ، وهو بفتح الذال المعجمة ، لغة في العذل (بسكونها) ، وقوله "الشيب أبعد في نصح عن التهم" أي والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح ، فالواو للحال .

(٣) (قوله فإن أمّارتي) هذه تعليل للبيت قبله فكأنه قال : إنما اتهمت نصيح الشيب في العذل ولم أقبل نصحه لأن أمارتي ، واستشكل قول "أمارتي" بأن فيه اتحاد الآمر بالمأمور ، لأن نفس الشخص هي هو ، وأجيب بجوابين :

أحدهما أن النفس باعتبار تعلقها بالمخالفة آمر ، واعتبار تعلقها بالصواب مأمور ، فهما مختلفان بالاعتبار ، وثانيهما : أن الآمر النفس والمأمور البدن ، فالنفس مستولية بسلطانها على البدن ، فتصرفه في شهواتها ، والأمارة من أنواع النفس وهي التي تأمر بالمخالفة ، فلا يلوح لها طمع إلا فعلته ، ولا برزت لها شهوة إلاّ قضتها ، فلم تسلك سبيل الرشاد ولم تستضيء بنور السداد ، وقد ذكرها الله في قوله تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (سورة يوسف الآية/٥٢) ومنها اللوامة وهي التي ترجع باللوم على صاحبها كثيراً عند الوقوع في المعصية لسابقة القضاء ، ومنها المطمئنة وهي التي اطمأنت للإيمان والتصديق بوعد الله ، فهي دائمة موفقة للطاعة ، مصدقة بلقاء الله تعالى ، وقد ذكرها الله تعالى في قوله ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (سورة الفجر الآية/٢٧) وقوله بالسوء متعلق بأمارتي ، والسوء القبيح ، وقوله : ما اتعظت "خبر إن أي ما قبلت الوعظ .

وقوله من جهلها أي من أجل جهلها فهو تعليل لقوله "ما اتعظت ، وإنما وبخ نفسه —

ولا أعدّت من الفعل الجميل القرى ... ضيف ألمّ برأسي غير محتشم (٤)

لو كنت أعلم أني ما أوقره ... كتمت سرا بدا لي منه بالكتم (٥)

— على عدم الاتعاظ بسبب جهلها لأنه قادر على دفع الجهل بتحصيل أسباب العلم ، وقوله : "بنذير" متعلق باتعظت أو بجهلها .

ونذير : إما بمعنى الإنذار فيكون مصدراً وعلى هذا فالإضافة في قوله "نذير الشيب والهرم" من إضافة المصدر لفاعله أو بمعنى المنذر فيكون اسم فاعل ، وعلى هذا فالإضافة في قوله : "نذير الشيب والهرم" ، من إضافة الصفة للموصوف أو للبيان ، وكان عليه أن يقول بنذيري الشيب والهرم ، إلا أن يقال الإضافة للجنس فيصدق النذير بالمتعدد أو أنه حذف من الثاني لدلالة الأول ، والأصل بنذير الشيب ونذير الهرم .

(٤) قوله (ولا أعدت إلخ) عطف على قوله ما اتعظت من قبيل عطف الخاص على العام ، لأن الاتعاظ يكون بالإتيان بالأعمال الحسنة والاجتناب عن الأعمال القبيحة ، وأما إعداد القرى فلا يكون إلا بالأول فقط ، والإعداد التهئية ، يقال : أعد واستعد بمعنى هيأ ، وقوله : "من الفعل الجميل" أي من الأعمال الصالحة ، وهو بيان مقدم لقوله "قرى ضيف" مشوب بتبعيض ، وقرى الضيف بالكسر للقاف ، إكرامه ، وفيه استعارة مرشحة مصرحة لأنه شبه الشيب بالضيف بجامع الطرو في كل ، فإن سواد الشعر كان ملازماً للإنسان فلما تبدل بالشيب كان كالضيف في طروه على الشخص بعد أن لم يكن ، واستعار اسم المشبه به للمشبه ، وذكر القرى ترشيحاً للاستعارة .

ولما كان الشيب نذيراً بانقضاء العمر صار بلسان حاله طالباً للأعمال الصالحة ، التي هي زاد الآخرة كما يطلب الضيف قراه تصريحاً أو تلويحاً ، وقوله ألمّ بتشديد الميم بمعنى نزل ، وقوله برأسي أي في رأسي ، فالباء بمعنى في ، وقوله محتشم ، لأن من آداب الضيف أن لا يكثر الإقامة عند من أضافه ، فمن أكثرها عنده كان غير محتشم ، والشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت ، فهو غير محتشم ، فعلى العاقل أن يستعد بالأعمال الصالحة لضيافته ، فإن أخر الاستعداد إلى نزوله فقد لا يتمكن من شيء من الأعمال لسرعة الرحيل وضيق الوقت .

(٥) (قوله لو كنت أعلم الخ) لما بين أن نصيح الشيب لا ينبغي أن يهمل ، واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الأمارة بالسوء ، ورأى من سوء العقاب وتقبيح الفعال من الناس ما لم يكن يراه ، قال : لو كنت أعلم الخ ، والعلم والمعرفة بمعنى واحد على الصحيح ، وقوله "أني ما أوقره" أي أني ما أعظمه بفعل الجميل وترك القبيح استحياء منه .. وقوله : "كتمت سراً" أي أخفيته والمراد —

من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم (٦)

– بالسر الشيب الذي لم يظهر ، وقوله : "بدا لي" أي ظهر لي ، وقوله : "منه أي من الشيب وقوله : "بالكتم" متعلق بكتمت ، والكتم (بفتح التاء) نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه كما في القاموس ، وقد قيل : شيئان عجيبان هما أبرج من يخ : شيخ يتصابى وصبي يتمشيخ" ، و يخ : اسم لبئر شديد البرودة ، كما نقل عن بعض الأشياخ ، وقال بعض أهل العلم : هو اسم لدود يكون في الثلج الذي هو شديد البرودة ، وذلك الدود يكون أشد برودة من الثلج .

وإنما قيد بقوله : "لي" إذا نزل الشيب بالشخص ظهر له أولاً في الغالب لاهتمامه بشأن نفسه ، ويحتمل أنه من البيان بعد الإجمال على حد ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (سورة طه الآيتان/٢٥ – ٢٦) وفي هذا البيت تنبيه على توقير الشيب وقد سماه الله تعالى وقاراً ، فقد روي أن أول من رأى الشيب إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام : فقال : ما هذا يا رب ؟ فقال الله تعالى : وقار يا إبراهيم ، فقال : يا رب زدني وقاراً ، فأصبح وقد غمه الشيب" وفي الحديث القدسي "الشيب نوري" (٤) .

(٦) قوله (من لي إلخ) لما لم تتعظ النفس بواعظ الشيب استفهم على سبيل الاستعطاف عمن يتكفل برد جماحها بالمواعظ السنية والأسرار الربانية فقال : "من لي" إلخ أن من يتكفل لي إلخ ؟ وقوله : "برد جماح من غوايتها أي بصرف قوة وغلبة ناشئة عن ضلالتها ، فالجماح بمعنى القوة والغلبة ، والمراد برده صرفه وغوايتها بفتح العين المعجمة ضلالتها ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للجماح أي جماح ناشيء عن غوايتها ، وقوله : كما "يرد جماح الخيل باللجم" أي رداً مثل رد جماح الخيل باللجم في القوة والعنف ، حيث لم ينفع واعظ الشيب فالكاف بمعنى مثل ، وما مصدرية واللجم جمع لجام ككتب جمع كتاب ، وفي هذا البيت إشارة إلى أن –

---

(٤) في كشف الخفاء ومزيل الالباس : عن أنس .. رفعه : "يقول الله عز وجل "الشيب نوري والنار خلقي ، وأنا أستحي أن أعذب نوري بناري" (المحقق) . ۞ ونقول ما ذكر الشيخ المحقق هو جزء مما جاء في كشف الخفاء ، ونحن نذكره بالكامل إتماماً للفائدة : من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة" (ج٢ ص رقم/٢٥٠٧) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي عن عمرو بن عنبسة رفعه ، وهو حسن ، وفي الباب أحاديث كثيرة منها ما أخرجه الديلمي في مسنده وأبو الشيخ وآخرون عن أنس رفعه يقول الله عز وجل : الشيب نوري والنار خلقي وأنا أستحي ان اعذب نوري بناري ، وروى الديلمي عن أبي هريرة رفعه : أن الله يبغض الشيخ الغريب بكسر الغين المعجمة الذي لا يشيب ، وجمعه غرايب وقيل : الذي يسود شعره بصبغة السواد .

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم (٧)
والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم (٨)
فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يصم أو يصم (٩)

– السلوك لا يتم إلا بشيخ عارف ، لأن النفس ربما تستحسن أمراً فيكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب الماهر .

(٧) قوله فلا ترم بالمعاصي .. الخ" لما استفهم عمن يرد جماح نفسه رداً عنيفاً استشعر شخصاً قال له : لا حاجة إلى ردها ، لأنك إن أعطيتها ما تتمناه من المعاصي انكسرت شهوتها ، فرد عليه ذلك بقوله : "فلا ترم بالمعاصي" أي ترجو ولا تتوقع بتمكّنها ما تتمناه من المعاصي دفع شهوتها لأنها إذا ألفت المعاصي قويت شهوتها ، وقد استدل على ذلك بقوله : "إن الطعام يقوى شهوة النهم" أي أن الطعام يزيد في شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذي هو شديد الشهوة إلى الطعام ، فتمكينه منه يزيد من شهوته إليه ، وكذلك النفس تمكينها من المعاصي يزيد في شهوتها إليها ، واعترض بأن النهم إنما تقوى شهوته إلى الطعام إذا لم يشبع منه ، وأما إذا شبع فقد أخذ حاجته ، وأجيب بأنه المعدة تنفتح أبداً لما يلقى فيها من الطعام إلا لمانع ، وقوتها الجاذبة لا تزال وإن امتلأت لا سيما معدة النهم .

(٨) قوله "والنفس كالطفل .. الخ" شبه النفس بالطفل في عدم الملل والسآمة بالاستمرار على المألوفات ، فكما أن الطفل إن تركته على ما ألفه من الرضاع دام على حبه ، وإن منعته امتنع كما ذكره بقوله "إن تهمله .. الخ" كذلك النفس إن تركتها على ما ألفته من المعاصي دامت على حبه وإن منعتها عنه امتنعت ، وقوله "إن تهمله" أي تركته على ما ألفه من الرضاع ، وقوله : "شب على حب الرضاع" أي كبر حال كونه مشتملاً على حب الرضاع ، وقوله "وإن تفطمه ينفطم" أي وإن تفصله وتمنعه عن الرضاع انفصل وامتنع عنه وصار غير طالب له : قال في المصباح : فطمت المرأة الرضيع فطماً من باب ضرب : فصلته عن الرضاع فهي فاطمة ، والرضيع فطيم ، والجمع فطم بضمتين مثل بريد وبرد ، ا هـ .

واعلم أن النفس لطيفة ربانية ، وهي الروح قبل تعلقها بالأجساد ، وقد خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ، فكانت حينئذ في جوار الحق وقربه فتستفيض من حضرته بلا واسطة ، فلما أمرها الحق أن تتعلق بالأجساد عرفت الغير فحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عنه تعالى ، فلذلك احتاجت إلى مذكر ، قال تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الذاريات الآية/٥٥) فهي قبل تعلقها بالجسد تسمى روحاً وبعد تعلقها به تسمى نفساً فالاختلاف

مكتبة نسمة العلماء

بينهما اعتباري ، والطفل بكسر الطاء المهملة : الصغير ذكراً كان أو أنثى .

(٩) قوله "فاصرف هواها الخ" أي إذا علمت ذلك فاصرف هواها الخ فالفاء فاء النصيحة ، وإنما لم يقل فاصرف النفس عن هواها ، كما هو مقتضى الظاهر لأنه نظر لكونها تابعة لهواها لا تخالفه أبداً ، فلا يمكن صرفها عن هواها وإنما الممكن صرف هواها ، بمعنى عدم اتباعه ، فهي لا تخلو من هوى أبداً لكن الشخص لا يتبعه ، وقوله "وحاذر أن توليه" أي واحذر أن تعطى هواها الولاية والإمارة عليك ، لأنه داع إلى الضلالة غير صالح للإمارة ، وإنما عبر المصنف بـ "حاذر" دون احذر تنبيهاً على أن النفس تراقب غفلة الشخص لتقع في هواها فهي تحاذره كما يحاذرها ، فالمحاذرة من الجانبين ، وقد علل ذلك بقوله "إن الهوى" فهو في قوة تحوله لأنه جائر ظالم ، وقوله "ما تولى" ضبطه شيخ الإسلام (زكريا الأنصاري رحمه الله) بضم التاء والواو وكسر اللام مشددة على أنه مبني للمفعول والشائع على الألسنة قراءته بفتحات على أنه مبني للفاعل ، وكل صحيح ، فالمعنى على الأول : ما ولاه الشخص ، والثاني ما صار والياً ، و "ما" شرطية ، وقوله "يصم" بضم الياء وسكون الصاد ، من أصميت الصيد إذا رميته فقتلته (٥) وقوله "أو يصم" بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه إذا عابة ، فالمعنى أن الهوى وإن ولاه الشخص يقتله أو يعيبه ، وفي هذا الكلام استعارة بالكناية وتخييل ، لأنه شبه هوى النفس بإنسان طالب للولاية والإمارة ، تشبيها مضمراً في النفس ، وطوى لفظ المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو منعه من الولاية والإمارة حيث قال "فاصرف هواها وحاذر أن توليه" ، ورشحها بذكر أنه ظالم جائر لأنه إذا تولى قتل أو عاب حيث قال : "إن الهوى ما تولى يصم أو يصم" فهي مرشحة لأنها قرنت بما يلائم المستعار منه ، ولما كان الهوى سبباً للهلاك أجمع على ذمه العارفون ، و وردت بذمه الآيات والأحاديث لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ويظهر من الأفعال فضائحها ويجعل ستر المرء مهتوكاً ومدخل الشر مسلوكاً .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الهوى إله يعبد من دون الله ، وتلا قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ (سورة الجاثية الآية/٢٣) وقال الشعبي : إنما سمّي هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار ، وبالجملة فالهوى أصل كل بلية ، والخلاص منه عسير جداً إلا بتوفيق من الله تعالى .

---

(٥) في القاموس المحيط : وأصمى الصيد : رماه فقتله مكانه" اهـ .

وفي الحديث الشريف الذي رواه الطبراني ، قال ﷺ : "كل ما أصميت ودع ما أنميت" ومعنى انماه : رماه فأصابه ، ثم ذهب عنه فمات بعيداً عنه ، والمعنى : كل ما رأيته بعينك حين رميته فمات ، و دع عنك ما غاب لأنك لا تدري أصابه سهمك أو كلبك أو مات بسبب آخر .

(البحث موصول بإذن الله)

الدعوة الإسلامية :

الأسس الشرعية

للتفاهم والتقارب مع الديانات

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور محمد شاهجهان الندوي ❖

تمهيد :

تحول العالم إلى قرية صغيرة ، وقربت مسافته وتقلصت مساحته وانطوت أبعاده ، بسبب تقدم العلم والتكنولوجيا (Technology) تقدما هائلا ، بحيث أصبح من الممكن قطع مسافات أيام وسنين في ساعات ، وسهلت وسائل الاتصال المعاصرة كالإنترنت ومواقع الشبكة (Websites) والبريد الإلكتروني (E – mail) الحصول على كل نوع من أنواع الأخبار والأنباء والمعلومات بالضغط على زر في أقل من ثانية وكل هذه الأسباب يجعل التفاهم والتقارب مع الديانات ضرورة ملحة من ضرورات العصر الراهن .

الإسلام بعيد عن العصبية :

مما لا شك فيه أن الإسلام يدعوإلى السلوك الحسن مع غير المسلمين ومؤاساتهم ، ولا يرى مانعا من إقامة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية معهم ، وتقديم المساعدة إليهم ، وينهى عن التعصب والعناد معهم ، ويرفض بقوة أن تحول الشحناء والبغضاء ، والعصبيات الفكرية ، والاتجاهات الفردية والقومية والوطنية ، والدوافع الاجتماعية ، والأفكار والنظريات والتصورات العقدية ، واختلاف أسلوب الحياة ، وتباين الحضارة والثقافة والمدنية ، وطرق المعاشرة بين العدل والإنصاف والعدالة الاجتماعية وأداء الحقوق ، حيث قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥/المائدة : ٨) ، فدلت الآية على استعمال العدل في المعاملة مع كل شخص ، صديقا كان أو عدوا ، مسلما أو غير مسلم .

وهكذا حل الإسلام أهم وأعقد وأدق قضايا المجتمع . وأمر بتحسين

❖ أستاذ الحديث الشريف والفقه الإسلامي بالجامعة الإسلامية ، شانتاقورم ، مالاقورم كيرالا ، الهند

العلاقات الإنسانية في نطاق الحدود والضوابط المقررة ، بحيث إذا التزم المجتمع العالمي بتلك الضوابط ، لتحقق الأمن والسلام والهدوء والسكن في المجتمع ، ولوصل حق كل أحد إليه ، ولانتهى الظلم والجور ، والفتنة والقتل والفساد وسفك الدماء ، والأثرة والاستغلال ، والصراع الطبقي والوطني والقومي ، وما تململ شخص على فراشه بسبب القلق النفسي والاضطراب العقلي ، والحرمان من الحقوق المالية ، ولتفتحت أزهار الحب والمودة ، ونشأ جوالوحدة والاتفاق والانسجام ، ولامتلأ المجتمع بروعة مشاهد العدل والإيثار والتضحية لصالح الآخرين .

والتاريخ الإسلامي مملوء بأمثلة رائعة للتسامح الديني ، والتفاهم والتقارب ، وما زال المسلمون يقيمون العلاقات الإنسانية والخلقية مع غير المسلمين إلى الآن .

الإسلام ليس دينا انعزاليا :

الإسلام دين جامع بين العقيدة والعمل ، وشامل لجميع المجالات الإنسانية ، وليس دينا انعزاليا ، ولا يحمل مشاعر العداء والكره للآخرين ، ولا يحب الانفصالية والعنصرية ، ولا يأمر أتباعه بالانقطاع عن الآخرين والانعزال عنهم ، ولا يفرق في المعاملات الإنسانية العامة بين الأعداء والأصدقاء ، وليس عنده ازدواجية في المقاييس والموازين ، فلا ينمي في أتباعه وأنصاره نفسية المحاربة والعداء ، والنفور والكراهية والعنف والشدة .

ولا شك أن الإسلام يأمر المسلمين المعتنقين به أن ينتهجوا فيما بينهم طرق الأخلاق الرفيعة ، فيجعلهم إخوة ، ويضع لهم حقوقا قانونية وأدبية ، ويحثهم على التعاون والتناصر والتكافل والتضامن فيما بينهم ، ويجمعهم على رصيف واحد ، ويجعلهم أمة واحدة ذات دستور واحد ، ونظام واحد . هذه حقيقة لا مراء فيها . ولكن هناك حقيقة أخرى يجب التنبه لها وإعارتها أهمية ، وهي : أن الإسلام دين عالمي ، يدعوالإنسانية كلها إلى ما فيه رشدها وفلاحها وخيرها ، ومن هنا لا يمكن أن يقوم الإسلام بزرع الكراهية والنفور في القلوب ، ويجعل الناس متحاربين متقاتلين فيما بينهم ، ويدفعهم إلى إفساد العلاقات ، بل يأمرهم بالبر والإحسان إليهم ، مع إنشاء العلاقات الكريمة معهم ، ولا يقيم بينهم سور الفرقة ، فالعلاقات الحسنة معهم لا تنافي التدين والتقوى ، بل هي داخلة في التدين .

ومن باب التسامح الديني أحل الله الزواج بالكتابيات الحرائر العفيفات العاقلات من اليهود والنصارى ، حيث قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَفِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥/المائدة : ٥) لاجتماعهم على أصل الدين السماوي ، والإيمان بالإله واليوم الآخر . ولا شك أن حل نكاحهن إن دل على شيء فإنما يدل على حسن سلوك المسلمين ، والتزامهم بالحق والعدل في معاملتهم مع غير المسلمين .

نعم ، حرم الله تعالى التزوج بالمشركات الوثنيات ، حيث قال تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْأَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْأَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوإِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢/البقرة : ٢٢١).وقال تعالى : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (٦٠/الممتحنة : ١٠) ، لأن الشرك والتوحيد تصوران متناقضان ، وطريقان متباينان ، فالتوحيد يذهب بالناس إلى الجنة ، والشرك يوصل صاحبه إلى النار ، فلا يمكن أن يقوم الزواج بين المسلم والمشركة على التأبيد والزمالة الدائمة ، لأن النكاح ليس متعة صرفة ، بل يعني مسؤولية وتأسيس أسرة صالحة ، والاختلاف في الديانة والعقيدة اختلاف أساسي يوجه الحياة ، فلا تتحمل الرابطة الزوجية هذا الاختلاف إلى وقت طويل ، بل يأتي يوم تتعقد فيه مسيرة الحياة المشتركة ، وتنفصل عراها ، وتتمزق الهيئة الأسرية ، وبالتالي تنحل لبنة من لبنات المجتمع .

وقد جربت الحياة البشرية أنكحة قامت بسبب الدوافع العاجلة ، والمحركات المؤقتة ، والرغبات الجنسية ، ففشلت ، ولذا أراد الإسلام إقامة العلاقات الزواجية على أسس متينة ، تحقق الهدوء النفسي والقلبي والعقلي والجنسي ، فمنع عن التزوج بالمشركة ، لأنه لا يحقق الغايات الشريفة من الزواج المشروع على أحسن وجه وأتم شكل ، ولا يتحقق به الهدوء كما ينبغي .

وما عدا الزواج فلا مانع من إقامة العلاقات الإنسانية مع غير

المسلمين في نظر الشريعة الإسلامية التي تزخر بالأسس والدعائم للتفاهم والتقارب مع الديانات ، وقبل أن أبين تلك الأسس ، يحسن بي أن أسلط الضوء على مفاهيم التقارب والتفاهم لغة واصطلاحا .

التفاهم لغة :

التفاهم مصدر من باب التفاعل ، ومشتق من الفهم من باب " سمع " ، ومعناه : إحسان تصور الشيء ، يقال : فهم الشيء يفهمه فهما ، أي : أحسن تصور ذلك الشيء . ومعنى التفاهم : الفهم شيئا فشيئا . وتفاهم القوم :إفهام بعضهم بعضا ..(ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت : ٧١١ هـ) " لسان العرب " ١١ / ٢٣٥ ، " ط : ١ ، بيروت ، دار صادر ، ٢٠٠٠ م "الوسيط " ٢ / ٧٠٤ ، مصر ، مجمع اللغة العربية) .

التفاهم في الاصطلاح :

هوأن يتم الإفهام بين بعض الشعوب والآخر ، بقصد التواصل الثقافي والتفاعل الحضاري والتعاون الدائم على خير الجميع ، مع محافظة كل الشعوب على هويتها وخصوصيتها الدينية والأدبية .

التقارب لغة :

التقارب مصدر من باب التفاعل ، ومشتق من القرب ، ومعناه : الدنو، يقال : قرب الشيء (من باب " سمع ") يقربه قربا : دنا منه . وقرب الشيء قرابة وقربا (من باب " كرم ") : أي : دنا . وتقارب الشيئين : دنوكل منهما من الآخر . (الزبيدي ، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت : ١٢٠٥ هـ) " تاج العروس " ٢ / ٣٠٦ – ٣١٥ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م . " الوسيط " ٢ / ٧٢٣) .

التقارب في الاصطلاح :

هوأن يتم دنوبعض الشعوب من بعضها الآخر بقصد التلاقي والتواصل الثقافي والتفاعل الحضاري والتحاور العلمي الهادئ مع محافظة كل الشعوب على هويتها وخصوصيتها الدينية والأخلاقية والثقافية ، دون تبعية أي طرف الثقافية والفكرية للآخر ، ودون ذوبان أي طرف في بوتقة ثقافة الآخر .

ولا شك أن الفهم الصحيح للطرف الآخر من حيث تاريخه وحاضره وثقافته ، هوأساس التفاهم والتقارب ، ولا يكون الفهم صحيحا إلا إذا

تحلى بروح العدل والإنصاف والموضوعية .

وبعد بيان مفاهيم التقارب والتفاهم ، نشرع في بيان الأسس الشرعية لهما ، وهي كما يلي :

الأساس الأول : وحدة الأصل الإنساني :

يرى القرآن الكريم أن النوع الإنساني قام من نفس واحدة : آدم وزوجه : حواء ، ثم تناسل منهما البشر ذكورا وإناثا ، حيث قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (٤/النساء : ١) .فالنوع الإنساني بدأ من اتصال الزوجين : آدم وحواء ، وانتشرت ذريتهما وتفرعت منها بعد ذلك أسر عديدة ، وقبائل شتى ، وشعوب مختلفة ، وأمم متعددة ، فالنوع الإنساني على كثرته وتنوعه من أصل واحد ، فينبغي للإنسان أن يعيشوا متراحمين متعاطفين متعاونين متكافلين متحابين ، غير متجادلين ولا متعادين ولا متخاصمين ولا متقاطعين ولا متدابرين ولا متهاجرين ، وذلك لأن أصلهم واحد .

وقد جلى الله تعالى هذه الحقيقة في موضع آخر ، حيث قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٤٩/الحجرات : ١٣) فدلت الآية على أن بداية الأصل الإنساني كانت من آدم وحواء ، ثم تفرع منهما ذريات كثيرة، حتى تحولت إلى قبائل وشعوب وأمم ، فالله تعالى قصد التعارف والتحالف والتعاون من جعل الشعوب والقبائل والأسر ، وما قصد منه التناكر والتباغض والتفاخر بالأنساب ، وإنما ميزان واحد للتفاضل بين الناس ، وهوالتقوى والتزام المأمورات المفصلة من الله تعالى واجتناب المنهيات المقررة في شريعته .

الأساس الثاني : عالمية الإسلام :

إن الإسلام دين البشرية كلها ، ودعوته موجهة إلى الإنسانية جمعاء ، ورسالته عامة غير مختصة بجيل دون جيل ، أوعرق دون عرق ، أوبلد دون بلد ، فقد قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَيُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(٧/الأعراف : ١٥٨) وقال سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢١/الأنبياء : ١٠٧) وقال – عز وجل – : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٣٣/الأحزاب : ٤٠) وقال – تبارك وتعالى – : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٤/سبأ : ٢٨) وينذر القرآن الكريم كل من بلغ ، حيث قال تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (٦/الأنعام : ١٩) وبين النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – عموم رسالته ، فقال : " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي، وَلا أَقُولُهُنَّ فَخْرًا: بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، فَأَخَّرْتُهَا لأُمَّتِي، فَهِيَ لِمَنْ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا" (أخرجه البزار رقم ٣٤٦٠ ، وأحمد ٢٧٤٤ ، وهوحديث صحيح) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُنْيَانًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلاَّ مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبِنَةِ. فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ" (أخرجه البخاري ٣٥٣٥ ، ومسلم ٢٢٨٦) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ، أَوْنَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ" (أخرجه مسلم ١٥٣) وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ لِي أَسْمَاءً ، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ " وَالْعَاقِبُ : الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ (أخرجه البخاري ٤٨٩٦ ، ومسلم ٢٣٥٤) وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ، فَلا رَسُولَ بَعْدِي وَلا نَبِيَّ " ، قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ ، قَالَ: قَالَ : "وَلَكِنِ الْمُبَشِّرَاتُ " ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ : " رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ" (أخرجه الترمذي ٢٢٧٢ ، وأحمد ١٣٨٢٤ ، وهوحديث صحيح) فالدين الذي يوجه دعوته ورسالته إلى الإنسانية جمعاء إلى يوم القيامة ، كيف يمكن أن يقوم بإنشاء النفور والكراهية في القلوب ،

وإحداث الشحناء والبغضاء في النفوس مع غير المسلمين ، مع أن الدعوة تتطلب إيجاد الأمن والسلام ، والوئام والانسجام ، وجوالحب والمودة ، والتعايش السلمي ، دون الصراع والتحارب والتقاتل ، فعموم الرسالة الإسلامية يقتضي إيجاد جويتم فيه التعايش السلمي – (Peaceful co existence) والتفاهم (one another Understanding) والتقارب (Approximation one another) فعالمية الإسلام ، وعموم الرسالة النبوية لدليلان صريحان على أن الإسلام لا يعلم العداوة والبغض مع الناس ، بل يقترب ويدنومنهم ، ويحسن إليهم ويبرهم ، حتى يتيسر لهم فهمه ، وبالتالي الإيمان بوحدانية الله وربوبيته واتباع تشريعاته .

الأساس الثالث : حرية العقيدة :

جاء الإسلام ليقضي على الظلم والجور ، والفتنة والفساد ، والإكراه والإجبار والقهر ، وليضمن حرية العقيدة ، وليصون حرية اعتناق الدين الذي يريده الإنسان ويختاره ، وليمنع من الفتن والصرف عما يدينون ، بأي وسيلة من وسائل الفتنة من الأذى والإغراء ، وإقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن حريتهم ، حيث قال الله تعالى : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (٢/البقرة : ١٩١) فالتعذيب والإيذاء والاضطهاد لأجل العقيدة والدين جريمة كبرى حتى شرع الجهاد لحماية حرية العقيدة واعتناق الدين ، وتخليص الناس من المضايقة والبلاء ، حيث قال سبحانه : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٢/البقرة : ١٩٣) وقال – تبارك وتعالى – : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (٢/البقرة : ٢١٧) ولأجل ذلك يدعوالإسلام الناس إلى الدين الإسلامي بالحكمة والموعظة والحوار الطيب والنقاش الهادئ ، حيث قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَأَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٦/النحل : ١٢٥) ولكن لا يكرههم ولا يجبرهم على اعتناق الإسلام ، حيث قال سبحانه : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢/البقرة : ٢٥٦) ولوشاء الله تعالى أن يكره الناس على الإسلام ، لخلق فيهم مادة الإيمان والطاعة فقط ، ولكن الله تعالى لم يشأ ذلك ، ومنح كل شخص حرية الرأي والاعتقاد واعتناق الدين الذي يختاره ، حيث قال – تبارك وتعالى – : ﴿وَلَوشَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ

جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠/يونس : ٩٩) وقال – عز وجل – : ﴿وَلَوْشَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (١١/هود : ١١٨ – ١١٩) وقال تبارك وتعالى : ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْيَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (١٣ / الرعد : ٣١) ومن تلا القرآن الكريم بتدبر وتفكر ، لوجد أن أكثر من مئتي آية تدل دلالة صريحة على عدم إكراه الناس على دين خاص .

فإذا كان الإسلام يمنح الناس حرية العقيدة ، ويصونها بقوة ، فمن مستلزماته أن يكون مع المسلمين مخالفوهم في الدين ، وهذا يعني أن الإسلام يبيح للمسلمين أن يعيشوا عيشا مشتركا مع غير المسلمين ، وأن يتفاهموا ويتقاربوا فيما بينهم .

الأساس الرابع : علاقة السلم :

تقوم علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم الأخرى على اختلاف أطيافها وفئاتها وألوانها ولغاتها وأعراقها وأجناسها وأديانها على السلم وإيثار السلام ، حيث قال تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٨/الأنفال : ٦١) فدلت الآية على أن الإسلام دين السلام والهدنة والصلح ، والمحبة والوئام ، والهداية والإرشاد ، فالسلم مؤثر ومفضل على الحرب ، والوفاء بالمعاهدات والمصالحات لازم ، والمبادرة إلى الغدر والخيانة والخداع والمكر ونقض العهود والمواثيق محرمة في نظره ، حيث لا يلجأ إلى القتال إلا عند وجود الظروف القاهرة ، والضرورات الملجئة . فتبين من الآية أن المسلمين أولى بالسلم من أصحاب الديانات الأخرى ، وعليهم أن لا يتوقفوا عن المهادنة والموادعة والمسالمة ، وإن كان أصحاب الديانات الأخرى يضمرون في قلوبهم المكر والغدر في الجنوح إلى السلم ، لأن الله تعالى يكفيهم ويعصمهم من مكرهم وخديعتهم ، فإنه تعالى خبير بما يضمرون ، وسامع لما يقولون .

ولهذا لما طلب قريش الصلح عام الحديبية ، ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تسع سنين ، أجلهم إلى ذلك ، مع ما اشترطوا من شروط شديدة مجحفة في حق المسلمين . وصالح – كذلك – رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهل خيبر ، وصالح أصحابه – صلى الله عليه وسلم – في زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ومن بعده من

الأئمة كثيرا من بلاد العجم ، على ما أخذوه منهم ، وتركوهم على ما هم فيه ، وهم قادرون على قطع شأفتهم .ولأجل أن الإسلام يقدم السلام لا يجوز نبذ الصلح بدون ظهور أمارات الخيانة والنقض والغدر .

ومما يؤكد أن علاقة المسلمين بغيرهم علاقة سلم ، أنهم مأمورون بتبليغ هذا الدين إلى البشرية جمعاء ، فهم مخرجون من الله تعالى لإقامة الشهادة بالحق ، حيث قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢/البقرة : ١٤٣) وقال سبحانه : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٣/آل عمران : ١١٠) فالمسلمون مكلفون بالأمر بالمعروف والخير والطاعة وإقامة السلام ، والنهي عن المنكر والشر والفساد والفتنة .

وإذا ثبت هذا ، فعموم دعوة الإسلام للبشرية جمعاء ، وعلاقة الدعوة العامة العالمية بين المسلمين وغيرهم تقتضي من المسلمين أن يتقاربوا ويتفاهموا مع غير المسلمين ، حتى تؤثر دعوتهم ويؤثر سلوكهم وسيرتهم فيهم ، فيؤمنوا بالدعوة الإلهية الأخيرة التي تتضمن رشدهم وفلاحهم ونجاتهم الأخروية ، ومن هنا دبجت يراعة السرخسي – رحمه الله تعالى – : "أن المسلمين إذا لقوا المشركين ، وكانوا لم يبلغهم الإسلام ، فليس لهم أن يقاتلوهم حتى يدعوهم ، لقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٧/الإسراء : ١٥) وبه أوصى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمراء الجيوش ، فقال :" فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، وإن هم أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم" (أخرجه مسلم ١٧٣١) ولأنهم يظنون أنا نقاتلهم طمعا في أموالهم وسبي نسائهم وذراريهم ، ولوعلموا أنا نقاتلهم على الدين : لأجابوا إلى ذلك من غير أن تقع الحاجة إلى القتال ، وفي تقديم عرض الإسلام عليهم دعاء إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيجب البداية به " (السرخسي ، شمس الأئمة ، أبوبكر ، محمد بن أحمد (ت : ٤٨٣ هـ) ، " شرح السير الكبير " ١ / ٧٥ – ٧٦ ، الشركة الشرقية للإعلانات ١٩٧١ م) .

فالأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هوالسلم ، لأنه يوفر فرصا لانتشار الدعوة الإسلامية العالمية ، ويمهد سبيلا لنفوذها إلى قلوب الناس وأفئدتهم .

(يتبع)

كيف نحمي كرامة نبينا ؟

بقلم : الدكتور ثمامة فيصل بن أبي المكارم
sumamid@gmail.com ، مدينة لكناؤ ، الهند

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة المائدة الآيتان/١٨ – ١٩) .

جاء رسولنا الكريم برسالته الخالدة لإزالة ما كان قد تراكم على الرسالات الإلهية السابقة والديانات السماوية السالفة من غبار التحريف والتشويه ، وخلص رسالة الأنبياء والرسل السابقين من الصدأ الذي كان قد أصابها عبر العصور والأزمان ، لقد جاء رسولنا الأمين ومعه نور وكتاب مبين ، نور العرفان والإيمان أضاء به القلوب والأذهان ، وكتاب الرشد والهداية دلنا به على صراط مستقيم ، وأنقذ الإنسانية من ظلمات الشرك والضلالة والغواية إلى نور التوحيد والهداية .

ولا شك أن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، بليلها ونهارها وحلها وترحالها ، تعكس ذلك النور الإلهي الذي يجب أن يستضاء به في كافة مجالات الحياة الإنسانية في كل عصر وزمان ، وفي كل بلد ومكان ، فإن حياته عليه السلام ، لا غرو ، صورة لامعة وضاءة ، ومرآة ناصعة صافية لما يحويه القرآن الكريم من الأحكام الجامعة والبراهين القاطعة وتعاليم الإسلام السمحة ، فكان خلقه القرآن ، وكانت أحاديثه أوضح البيان وأفصح الكلام بعد كلام الله عز وجل ، وكان هو عليه السلام خير دليل وهاد ومرشد لكل من شاء أن يستهدي ويسترشد بالحق المبين .

ومهما دبر المدبرون ، ومكر الماكرون ، من إخوان الشيطان العاتي المتمرد وأعوانه ، للمساس بكرامة خاتم النبيين ، والنيل من مرتبته ومكانته العالية الرفيعة ، فلن يرجعوا إلا خائبين خاسرين مذمومين مدحورين ، ومهما حاك أعداء الحق من المؤامرات ومهما دسوا من الدسائس وكادوا من المكايد ، فلن يزيدهم ذلك إلا خبالا ، ولن ينالوا به إلا ذلا وعارا ، ولن يحرزوا إلا مقتا وقنوطا وخسرانا .

ولكن كيف يجب أن يكون ردنا على مثل هذه الهجمات والغارات التي يشنها علينا أعداؤنا ، وماذا يجب أن يكون موقفنا في سبيل دحض هذه التهم والخرافات ، وكيف نواجه مواقفهم العدائية المحرضة لمشاعرنا الدينية ، وكيف نحمي حمى ديننا ونبينا ؟ فكيف السبيل إلى ذلك ؟ هل نهجم على أديانهم مثلما يهجمون على ديننا ؟ وهل نأخذ الثار منهم فنعيث في الأرض فسادا بقتل قادتهم وأعيانهم ورؤسائهم ، وحرق منازلهم ، وهدم

منشأتهم ومعابدهم ، ونهب محلاتهم ؟ لا ، كلا ، ليس هذا ما يليق بمن يدين بدين الرحمة والرأفة ، وليس هذا شأن من يتبع نبي الحكمة والموعظة الحسنة ، فإننا أتباع رسول الأمن والسلام ، والرسول الذي أرسل للقضاء على الظلم والعدوان ، فعلينا أن لا نثور ، وأن لا نفقد السيطرة على مشاعرنا في مثل هذه المواقف الشديدة الحرجة ، ولا نتبنى فيها سياسة الثأر والانتقام ، بل لنصبر ولنستأن قليلا ، ولنتأمل فيما هو أفضل طريقة وأحسن خطة لمواجهة مثل هذه الزوابع الهوجاء في وجه كرامة نبينا خاتم الأنبياء والرسل ﷺ .

وما أحسن خطة اختطها وسلكها بعض إخواننا المسلمين من الأتراك والهنود قبل بضعة شهور في بلاد الهند من أجل حفظ كرامة نبينا وإعلاء مكانته والرد على من يجهلون مقامه العالي أو يتجاهلون ، فعقدوا مسابقة واسعة النطاق حول حياة الرسول عليه الصلاة والسلام في مختلف المدن الهندية في وقت واحد شارك فيها طلبة المدارس والكليات والجامعات الهندية ومن سواهم من الشبان والشيوخ من كل من الرجال والنساء ، ومما ميز هذه المسابقة التي بلغ عدد المشاركين فيها مائة ألف هندي أن عددا كبيرا من غير المسلمين أيضا شاركوا فيها ، وترددت أصداء هذه المسابقة في الصحف والجرائد المحلية بالإضافة إلى مختلف القنوات الهندية ، وكانت أسئلة المسابقة مستقاة من كتاب الداعية الشيخ فتح الله كولن حفظه الله ، فترجم الكتاب إلى اللغتين الأردية والهندية – وهما من أكثر اللغات انتشارا في بلاد الهند – لكي يستطيع من لا يقدر على فهم الترجمة الإنجليزية للكتاب من إنتهاز هذه الفرصة ، كانت هذه المسابقة محاولة رشيدة موفقة سديدة وسعيا حميدا ومشكورا ، فجزى الله المنظمين لها والقائمين عليها خير الجزاء ، وبما أني كنت من أعضاء لجنة التحكيم للمسابقة ، لاحظت – عن كثب – الإقبال العظيم الذي أظهره الهنود من مختلف شرائح المجتمع الهندي على المشاركة في المسابقة ، والله لقد رأيت في جو الهند في تلك الأيام إشراقات ذلك النور الذي جاء به رسولنا الكريم ، ولمحت تجليات ذلك النور السرمدي الذي تمثل في حياته المجيدة .

لقد وفرت هذه المسابقة المباركة فرصة سانحة أمام الأمة الهندية من خلال المسلمين وغيرهم للتعرف على جوانب مختلفة من سيرة خير الخلق من خلال واحد من أروع كتب السيرة النبوية التي ألفت في العصر الحديث ، وهي تتميز بأسلوبها السهل الممتنع والجذاب ومنهجها الرائع القويم ، أليس هذا أحسن رد على أعداء الحق الذين يحاولون النيل من كرامة نبينا ؟ أليست هذه أحسن طريقة وأفضل خطة ينبغي أن نسلكها لمواجهة المؤامرات والهجمات التي تقوم بها العناصر الهدامة ضد ديننا الحق ونبينا الصادق الأمين ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ .

❖❖❖

أسرار عجيبة للصلاة

في مفاصل الركبتين

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾

﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾

بقلم :الدكتور إبراهيم الراوي

دكتوراه في الطب والجراحة العراق – بغداد – المأمون مجاور جامع الدكتور إبراهيم الراوي

يفاجأ العالم اليوم بظهور الملايين من المصابين في مفاصل الركبتين بسبب تطور الحياة المعاصرة وقلة حركة الإنسان بظهور وسائط النقل الحديثة والسلالم الكهربائية وآلات الحمل والحفر والكراسي المتزحلقة في المكاتب والدوائر وترك القيام والقعود لربات البيوت بظهور الطباخات والغسالات للعمل وقوفا ، وقد تشكلت ولأول مرة في التاريخ معاهد اختصاصات طبية بأمراض مفاصل الركبتين وتخريج أطباء واخصائيين عالميين بمفاصل الركبتين .

وقد انخفضت حركة الإنسان في القيام والقعود والمشي وحمل الأثقال إلى درجة خطيرة حتى أصبح الجسم معطلا خاويا تهدده الأمراض الخطيرة ، إن مفاصل الركبتين هي التي تتحمل أعباء الجسم كافة وأثناء المشي والحركة والقيام والقعود والصعود والنزول وحمل الأثقال وممارسة كافة الأعمال اليومية ، وهي وحدها المسؤولة عن حمل وزن الجسم عند أية حركة خفيفة أو عنيفة كالقفز والأعمال الشاقة طوال الحياة ، إن كسل مفاصل الركبتين يسبب التمزق المفصلي وتهشم الأنسجة الغضروفية وقطع الأربطة المفصلية عند القيام بأي حركة غير اعتيادية .

وتتضاعف الإصابات عند الإصابة بالسمنة المفرطة ، والاعتياد على المرافق الغربية والتبول وقوفا ، وحرمان مفاصل الركبتين من تمارين القعود والقيام ، وإن عدم طوي هذه المفاصل يؤدي إلى الإصابة بداء التكلس المفصلي وهشاشة العظام وسوفان المفاصل ، ولأول مرة في التاريخ تظهر اليوم عمليات جراحية لتبديل مفصل الركبتين بمفاصل بلاستيكية اصطناعية باهظة الثمن كما يحدث اليوم لشخصيات بارزة من الأثرياء في العالم ، كما سجلت الإحصائيات العالمية كثرة الإصابة بمفاصل الركبتين بسبب تعرضها للحوادث والصدمات والإرهاق والحركات العنيفة وتحمل الصعاب ، إن جسم الإنسان يتكون من (٣٦٠) مفصل بعدد أيام السنة ، وإن مفصل الركبتين هو الوحيد اليوم تفتح له عالميا معاهد واختصاصات متطورة ودراسات مركزة بسبب ارتفاع خطير في إصابات هذه المفاصل في الحياة المعاصرة ، وإن أي خلل فيها يسبب العوق فيفقد الإنسان

القعود والقيام مما يضطره في استعمال الكرسي والمرافق الغربية والعصا الطبية وهو لا يزال في مقتبل العمر ، لأن هذه المفاصل هي الرئيسية والأساسية في حمل الجسم كله وممارسة أعمال الحياة كافة ، المكتبية والصناعية والمنزلية وكافة الأشغال والممارسات المهنية ، وقد حدث أمامي أن شخصا من المترفين قليلي الحركة وأصحاب الأجسام الخاملة والكسولة سافر من البصرة إلى بغداد وقطع (٦٠٠) كيلو متر مربع في سيارة حديثة مزدحمة وأمضى المدة في نوم عميق وإحدى ركبتيه ملتوية ، وعند ما آفاق تعذر عليه ثني ركبته والنزول من السيارة بسبب آلام شديدة وحدوث تمزق أنسجة المفصل مع قطع إحدى الأوتار وتهشم الغضروف ، فمكث في المستشفى وتم تجبيس ركبته وبقي عاما كاملا لا يستطيع ثني الركبة مع الاستعانة بالعصا الطبية أثناء المشي والجلوس في المرافق الغربية والتبول وقوفا وصعوبة القيام والقعود لأن الأنسجة المتهدمة بطيئة الالتحام ، وبسبب عدم ثني الركبة أصاب المفصل تيبس وتكلس ، ويلاحظ ذلك لدى كل من يصاب بكسر بساقه ويتم تجبيس مفصل الركبة لمدة طويلة حيث يفقد الإنسان قدرته على ثني الركبة ويصاب المفصل بتحدد حركي حيث يستمر مدة طويلة أو مدى الحياة ، كما يلاحظ ذلك في السجون المزدحمة وفقدان حرية الحركة والقيام والقعود والنوم بطلاقة ولمدة طويلة مما يسبب تعطيل المفاصل عند أداء الواجبات الطبيعية فتصاب بالتكلس والتيبس من جراء ضعف الدورة الدموية واللمفاوية في مفاصل الركبتين وفقدان الغدد التي تفرز سوائل المفاصل قدرتها على تزويد مفاصل الركبتين بكميات كافية من السوائل اللزجة التي تساعد على دوام الحركة للمفاصل ، إن حركات الصلاة في الإسلام تتكون من القيام والقعود والركوع والسجود خمس مرات في اليوم وعلى مدى الحياة ، هي الإجراء الطبي الوحيد في العالم لإدامة حيوية وسلامة مفاصل الركبتين خاصة وعموم مفاصل الجسم التي عددها (٣٦٠) مفصل .

ولا يوجد إنسان في العالم يمارس حركات الركوع والسجود والقيام والقعود وثني الركبتين يوميا خمس مرات ومدى الحياة سوى الإنسان المسلم منذ عمر السابعة وحتى الموت ، وإن الأشخاص كبيري السن من المتقاعدين والذين قد دخلوا في سن الشيخوخة إذا كانوا من تاركي الصلاة في مقتبل أعمارهم وباشروا بالصلاة عند الهرم تجدونهم يصلون على الكراسي في آخر صفوف المساجد ويتكئون على العصا في الشوارع وهم يرددون قول الشاعر الجاهلي :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
ثمانين حولا – لا أبا لك – يسأم

ويسجل تاريخ أحد أجدادي الصالحين أنه في عمر التسعين تزوج فتاة باكراً وأنجب طفلين ، وقد شاهدت شخصيا أحد أقاربي كان مدير شرطة الكرخ في بغداد وبعمر (٦٠) وعمه طفل رضيع ليس أخوه بل أخو أبيه .

وقد أحدثت الصلاة انقلابا خطيرا في بنية الإنسان وربت الرجال العظام الذين غزوا العالم .

الفقه الإسلامي :

القروض في الإسلام

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو احمد
(جمهورية مصر العربية)

أما الديون التي تم اقتراضها فسنطرح الآراء التي تناولت التخلص منها والحل الإسلامي : دعا الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران إلى إعفاء الدول الأشد فقراً من ديونها (١) وقد أقبلت الدول الغنية بعد الحرب العالمية الثانية على إعفاء الدول المدينة من ديونها ، لكي تدفع حركة التجارة الدولية بعد الحرب ، فلم لا تفعل ذلك الآن (٢) ومن المقترحات أيضاً خفض أصل الدين ، أو خفض خدمة الديون ، عن طريق خفض سعر الفائدة ، أو إلغاء الفوائد للدول الأكثر فقراً ، وخفضها بالنسبة للدول المتوسطة ، أو إعادة جدولة الديون على المدى الطويل ، ومن المقترحات أيضاً فكرة تحويل الديون إلى سندات ، عن طريق إنشاء مؤسسة عربية يساهم في رأس مالها صندوق النقد العربي وصناديق التنمية العربية والبنوك الإسلامية والمصارف العربية الدولية ، وكذلك المؤسسات الدولية الإقليمية الأخرى ، وتتولى مهام إدارة الديون وخاصة تحويل الديون إلى سندات كما تقوم بإصدار سندات تقدم للبنوك التجارية مقابل القروض التي تمنحها للدول العربية وتضمن بذلك استئناف انسياب رؤوس الأموال لتمويل الاحتياجات والتنمية العربية (٣) ولكن ما رد فعل الدول الدائنة ، وهل ستتحمل تكلفة إلغاء الديون ، خاصة وأن جانبا من مبالغ الديون مستحق لبنوك تجارية ؟ والإجابة لقد استطاعت الرأسمالية الدائنة خلال عصر فورة أسعار النفط أن تدفع زيادة في قيمة وارادتها من النفط بما لا يقل عن ترليون دولار خلال هذه الفترة ، ولم

(١) مجلة الفرسان العدد/٦٤٣ السبت ٢٦ مايو ١٩٩٠م .

(٢) مجلة الحوادث الجمعة ٢٠ أبريل ١٩٩٠م العدد/١٧٤٦ .

(٣) جريدة الأهرام العدد/٣٧٧٨٢ – ١٨/٥/١٩٩٠م ٢٣ شوال عام ١٤١٠هـ .

يؤد ذلك إلى تدمير اقتصادياتها ، بل من الثابت أن حركة التجديدات في الإنتاج والنمو لم تتوقف ، وهذا المبلغ مقارب لإجمالي ديون العالم بفوائدها ، ويعتقد الرئيس الكوبي كاسترو أنه من الممكن تدبير هذا المبلغ ، من خلال إحداث خفض في نفقات التسليح ، وإصدار سندات مدتها عشر سنوات ، مقابل هذا الخفض ، تعطى للبنوك والهيئات الخاصة الدائنة مقابل ديونها المستحقة على العالم الثالث ، وبذلك لن تتأثر البنوك ، وهذا لن ولم يتحقق إلا بموقف جماعي من الدول المدينة لتشكل قوى ضغط عالمية على الدول الدائنة (٤) .

وأول خطى الحل الإسلامي هو التزام الدول المدينة بدفع أصل فقط دون فوائده ، ولو حسبت كل دولة ما دفعته من أقساط وفوائد حتى الآن ستجد أنها سددت فعلاً أصل الدين ، قال تعالى في سورة البقرة الآيتان/٢٧٧ – ٢٧٩ واللتان تأمران بسداد أصل الدين دون فوائده : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ كما أمر الله تعالى بالصبر على المعسر ، الذي لا يجد وفاء ، فقال تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ كما ندب إلى الوضع عنه ، ووعد على ذلك الخير والثواب الجزيل ، فقال ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٨٠) أي وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين ، وقد وردت الأحاديث من طرق متعددة عن النبي ﷺ بذلك ، عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال الطبراني ، قال رسول الله ﷺ (من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فليسر على معسر أو ليضع عنه) وعن بريدة قال الإمام أحمد سمعت النبي ﷺ يقول (من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة) وعن حذيفة قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : (أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال : ماذا عملت لي في الدنيا ؟ فقال : ما عملت لك يا رب ! مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها ، قالها ثلاث مرات ، قال العبد عند آخرها : يا رب إنك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلاً أبايع الناس

(٤) مجلة الأهرام الاقتصادي العدد/١١١٣ – ١٤ مايو عام ١٩٩٠م .

وكان من خلقي الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر قال فيقول الله عز وجل : أنا أحق من ييسر ، ادخل الجنة) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه : تجاوزا عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه ، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر) وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ (من أنظر معسراً إلى مسيرته أنظره الله بذنبه إلى توبته) (٥) والمقصود من الآية السابقة أنها عامة في كل دين وهذا قول العامة ، والصدقة على المعسر قربة وذلك أفضل عند الله من إنظاره إلى المسيرة (٦) ومن أنظر معسراً قبل أن يجل الدين فله صدقة ، ومن أنظره إذا حل الدين فله بكل يوم صدقة (٧) وإنظار المعسر تأخيره إلى أن يؤسر والوضع عنه إسقاط الدين عن ذمته (٨) كما يأمر الإسلام بتخصيص جزء من الزكاة لسداد الديون ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية/٦٠) لما ذكر الله تعالى ، اعتراض المنافقين الجهلة ، على النبي ﷺ ، ولمزهم إياه ، في قسم الصدقات ، بين الله تعالى ، أنه هو الذي قسمها ، وبين حكمها ، وتولى أمرها بنفسه ، ولم يكل قسمها إلى أحد غيره ، فجزاها لهؤلاء المذكورين ، وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع إليها أو إلى ما أمكن منها ؟ على قولين : أحدهما أنه يجب ذلك وهو قول الشافعي وجماعة ، والثاني أن لا يجب استيعابها بل يجوز الدفع إلى واحد منها ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقين وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف ، منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون بن مهران ، قال ابن جرير وهو

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/١ ص/٣٣١ – ٣٣٣ .
(٦) أحكام القرآن لابن العربي ج/٢ ص/٢٤٥ – ٢٤٦ .
(٧) أحكام القرآن لأبي بكر الرازي الجصاص ص/٢٠١ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج/٣ ص/٣٧٤ – ٣٧٥ .

قول عامة أهل العلم ، والغارمون ، أقسام : فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن دينا فلزمه فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم ، والأصل في هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالي ، قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال : (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها) ثم قال (يا قبيصة ! إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قرابة قومه فيقولون لقد أصابت فلاناً فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً من عيش ، فمن سواهم من المسألة سحت يأكلها صاحبها سحت) رواه مسلم ، وقال الإمام أحمد ، قال رسول الله ﷺ (يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول : يا ابن آدم ! فيم أخذت هذا الدين ، فيم ضيعت حقوق الناس ؟ فيقول : يا رب أنتم أعلم أني أخذته ، فلم آكل ولم أشرب ولم أضيع ، ولكن أتى على يدي إما حرق وإما سرق وإما وضيعة ، فيقول الله : صدق عبدي أنا أحق من قضى عنك اليوم فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته ، فيدخل الجنة بفضل الله ورحمته) (٩) والغارمين هم الذين ركبهم الدين ، ولا وفاء عندهم ، ولا خلاف في إعطائهم من الزكاة ، إلا من أدان في سفاهة ، فإنه لا يعطى منها ولا من غيرها ، إلا أن يتوب ، فإنه إن أخذها قبل التوبة عاد إلى سفاهة مثلها أو أكبر منها (١٠) قال بعض أهل العلم : إنه يجب على الإمام أن يقضي من بيت المال ديون الفقراء ، اقتداء بالنبي ﷺ (١١) وقد ثبت في الصحيح عن البخاري وغيره قول النبي ﷺ : (ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/١ ص/٣٦٥ – ٣٦٦ .
(١٠) أحكام القرآن لابن العربي ج/١ ص/٩٦٨ .
(١١) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن محمد علي الصابوني ج/٢ ص/٢٧٨ .

دينا أو ضياعاً فليأتني فإنا مولاه) (١٢) وقوله عليه السلام (وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فانا مولاه) أي فعلي قضاء دينه ، ورعاية أولاده ، والإمام خليفة عن رسول الله يجب عليه قضاء ديون الفقراء من المسلمين (١٣) قال ابن بطال : وهكذا يلزم المتولي لأمر المسلمين أن يفعله فيمن مات وعليه دين ، فإن لم يفعل فالإثم عليه ، وقد ذكر الرافعي في آخر الحديث : قيل : يا رسول الله ! وعلى كل إمام بعدك ؟ قال : (وعلى كل إمام بعدي) (١٤)

الحوالة : بفتح الحاء وقد تكسر ، وحقيقتها عند الفقهاء نقل دين من ذمة إلى ذمة (١٥) والحوالة مأخوذة من التحويل بمعنى الانتقال ، والمقصود بها هنا نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه ، وهي تقتضي وجود محيل ومحال ومحال عليه ، فالمحيل هو المدين والمحال هو الدائن والمحال عليه هو الذي يقوم بقضاء الدين ، وقد شرعها الإسلام وأجازها للحاجة إليها ، روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (مطل الغني ظلم وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع) ففي هذا الحديث أمر الرسول عليه الصلاة والسلام الدائن إذا أحاله المدين على غني قادر أن يقبل الإحالة وأن يتبع الذي أحيل عليه بالمطالبة حتى يستوفي حقه ، ولكن هل الأمر للوجوب أو الندب ؟ ذهب الكثير من الحنابلة وابن جرير وأبو ثور والظاهرية إلى أنه يجب على الدائن قبول الإحالة على المليء عملاً بهذا الأمر ، وقال الجمهور : إن الأمر للاستحباب (١٦) .

ومن شروط الحوالة : الحنيفة قالوا : يشترط في المحال به أن يكون ديناً للمحال على المحيل ، فإن لم يكن للمحال دين على المحيل كانت وكالة لا حوالة ، ولا يشترط أن يكون للمحيل دين على المحال عليه فيجوز أن يحيل على شخص متبرع بماله ، المالكية قالوا : أن يكون للمال دين

(١٢) أحكام القرآن لابن العربي ج/٢ ص/٢٤٥ – ٢٤٦ .

(١٣) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن محمد علي الصابوني ج/٢ ص/٢٧٨ .

(١٤) سبل السلام الصنعاني ج/٣ ص/٦٣ .

(١٥) سبل السلام الصنعاني ج/٣ ص/٦١ .

(١٦) فقه السنة السيد سابق ج/٣ ص/٢١١ – ٢١٤ .

على المحيل ، وأن يكون للمحيل دين على المحال عليه ، فإذا لم يكن للمحال دين على المحيل كان عقد وكالة لا حوالة ، لأنه طلب ممن ليس عليه دين أن يتقاضى له من المحال عليه ماله عنده ، وذلك هو معنى الوكالة ، وإذا لم يكن للمحيل دين على المحال عليه كان عقد حمالة ، لأن المحال عليه احتمال سداد الدين عن المحيل للمحال (١٧) .

الكفالة : هي الضمان وهي الزعامة وهي القبالة وهي الحمالة ، فمن كان له على آخر حق مال ، من بيع أو غير بيع من أي وجه ، كان حالاً أو إلى أجل سواء ، كان الذي عليه الحق حياً أو ميتاً ، فضمن له ذلك الحق إنسان لا شيء عليه للمضمون عنه ، بطيب نفسه وطيب نفس الذي له الحق ، فقد سقط ذلك الحق عن الذي كان عليه ، وانتقل إلى الضامن ، ولزمه بكل حال ، ولا يجوز للمضمون له أن يرجع على المضمون عنه ولا على ورثته بشيء من ذلك الحق ، انتصف أو لم انتصف ، ولا بحال من الأحوال ، ولا يرجع الضامن على المضمون عنه ولا على ورثته بشيئ مما ضمن عنه أصلاً ، سواء رغب إليه في أن يضمنه عنه أم لم يرغب إليه في ذلك ، إلا وجه واحد وهو أن يقول الذي عليه الحق ، أضمن عني ما لهذا علي فإذا أديت عني فهو دين لك علي ، فهنا يرجع عليه بما أدى عنه لأنه استقرضه ما أدى عنه فهو قرض صحيح (١٨) والكفالة مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع ففي الكتاب يقول الله تعالى في سورة يوسف الآية/٦٦ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ وقوله جل شأنه ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ وجاء في السنة عن أمامة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (الزعيم غارم) رواه أبو داود والترمذي وحسنه وصححه ابن حبان ، ومعنى الزعيم أي الكفيل الغارم أي الضامن ، وقد أجمع العلماء على جواز الكفالة ولا يزال المسلمون يكفل بعضهم بعضاً من عصر النبوة إلى وقتنا هذا (١٩) .

(١٧) الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزيري ج/٣ ص/٢١٠ – ٢١٨ .

(١٨) المحلى لابن حزم ج/٨ ص/١١٠ – ١١١ .

(١٩) فقه السنة السيد سابق ج/٣ ص/٣٣٤ – ٣٣٥ .

القرض الحسن : دعا الله تعالى إلى القرض الحسن ، فقال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ (سورة البقرة الآية/٢٤٥) وإعطاء القرض الحسن عبادة لله وعمل اقتصادي في آن واحد ، وفي هذه الآية الكريمة جعل الله تعالى القرض الحسن ، بمثابة قرض له عز وجل ، يرده إلى المقرض أضعافاً كثيرة مع أن المال أصلاً مال الله ، وفي قوله تعالى ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (سورة المائدة الآية/١٢) جمع الله تعالى في آية واحدة الصلاة والزكاة والقرض الحسن ، وبذلك رفع القرض الحسن إلى مرتبة أركان الإسلام المفروضة في الأداء والجزاء ، ويأتي هذا المعنى في آيات أخرى ، نذكر منها قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المزمل الآية/٢٠) وقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الحديد الآية/١١) وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الحديد الآية/١٨) هذه الآيات تؤكد على ضرورة القرض الحسن لكل محتاج ، وللمقرض حسن الثواب لا في الدنيا فقط ، بل وفي الآخرة ، وقال رسول الله ﷺ ، (رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر ، فقلت لجبريل : ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة (٢٠) وروي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) رواه مسلم وأبو داود والترمذي ، وقد ندب الإسلام إلى القرض الحسن ، وحبب فيه بالنسبة للمقرض وإباحة للمقترض ، ولم يجعله من باب المسألة المكروهة لأنه يأخذ المال لينتفع به في

(٢٠) من كتاب عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي ، حمزة الجميعي الدموهي ص/٣٠٩ .

قضاء حوائجه ثم يرد مثله ، ولا يجوز أن يرد المقترض إلى المقترض إلا ما اقترضه منه أو مثله تبعاً للقاعدة الفقهية القائلة (كل فرض جرَّ نفعاً فهو ربا) (٢١) فعقد القرض عنه يقصد به الرفق بالناس ومعاونتهم على شئون العيش وتيسير سبل الحياة ، ولهذا نرى أن تنشأ صناديق للقرض الحسن تعطى للمستحقين من ذوي الحاجات وتسترد منهم على أقساط شهرية أو سنوية أو حتى طويلة الأجل يسهل على المقترضين سدادها وقت الاستحقاق (٢٢) ومن العجب أن القروض التي تعطى للبلاد الإسلامية مأخوذة من الأموال البترولية الإسلامية المودعة في الغرب لخدمة الاقتصاد الغربي ثم تقرض للمسلمين لتستعبدهم ، وكان أولى أن يقرض المسلمون من المسلمين ، وغالب الثروة الإسلامية ٨٠٪ تقريباً مودعة في المصارف الأجنبية ، وقد حيل بين أصحابها وبين إنفاقها في مشروعات التنمية في البلاد الإسلامية ، وبينما تتوقف هذه الأموال عن أداء دورها الطبيعي نجد الاستثمارات الأجنبية هي الغالبة والمسيطرة في الدول الإسلامية ، وهكذا نجد أن الغرب يحتضن الثروة الإسلامية كلها ويديرها على الوجه الذي لا يمكن المسلمين من امتلاك إرادتهم وإقراضهم للمسلمين من هذه الأموال التي خرجت من بلاد إسلامية في الأصل يكون بالطريقة التي تعجز الطرق المدينة عن السداد والخروج من التبعية لهذه الدول الغير إسلامية (٢٣) .

الرهن : وقد عرفه العلماء بأنه جعل عين لها قيمة مالية في نظر الشرع وثيقة بدين ، بحيث يمكن أخذ ذلك الدين أو أخذ بعضه من تلك العين ، فإذا استدان شخص ديناً من شخص آخر وجعل له في نظير ذلك الدين عقاراً أو حيواناً محبوساً تحت يده حتى يقضيه دينه كان ذلك هو

(٢١) فقه السنة السيد سابق ج/٣ ص/١٤٤ – ١٤٩ .
(٢٢) من كتاب عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي – حمزة الجميعي الدموهي ص/٣٠٩ .
(٢٣) تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، أنور الجندي ص/٣٨٨ .

الرهن شرعاً ، ويقال لمالك العين المدين "راهن" ولصاحب الدين الذي يأخذ العين ويحسبها تحت يده نظير دينه "مرتهن" كما يقال للعين المرهونة نفسها "رهن" ، والرهن جائز ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٨٣) وأما السنة : فقد رهن النبي ﷺ درعه عند يهودي ، طلب منه سلف الشعير ، فقال : إنما يريد محمد أن يذهب بمالي ، فقال النبي ﷺ (كذب ، أني لأمين في الأرض أمين في السماء ولو ائتمنني لأديت اذهبوا إليه بدرعي) وروى البخاري وغيره عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً ورهنه درعه ، وقد أجمع العلماء على ذلك ولم يختلف في جوازه ولا مشروعيته أحد وإن كانوا قد اختلفوا في مشروعيته في الحضر ، والرهن أمانة في يد المرتهن لا يضمن إلا بالتعدي عند أحمد والشافعي ، ومتى حل الأجل لزم الراهن الإيفاء وأداء ما عليه من دين ، فإن امتنع وفاؤه ولم يكن أذن له ببيع الرهن أجبره الحاكم على وفائه أو بيع الرهن فإن باعه وفضل من ثمنه شيء فلمالكه ، وإن بقي شيء فعلى الراهن ، وإذا اشترك بيع الرهن عند حلول الأجل جاز هذا الشرط ، وكان من حق المرتهن أن يبيعه خلافاً للإمام الشافعي الذي يرى بطلان الشرط (٢٤) .

هذه بعض طرق قضاء الديون التي بينها لنا الإسلام ولا تخرج عن جعل ديون الدول الإسلامية بين الدول الإسلامية الغنية بدلاً من الدول الغير إسلامية ، وتقوم هذه الدول إما بتقسيط الديون على أقساط طويلة يسهل دفعها أو تشارك بقيمتها في مشاريع إنتاجية أو التنازل عن ما يمكن التنازل عنه أو تخصص أموال الزكاة كلها أو بعض منها لسداد هذه الديون .

---

(٢٤) فقه السنة السيد سابق ج/٣ ص/١٥٣ – ١٦٠ .

****

رأى من آراء العلماء :

ابن تيمية في مواجهة المغول

بقلم : معالي الدكتور راشد عبد الله أحمد الفرحان حفظه الله
(دولة الكويت)

قرأت يوم الثلاثاء في شهر تموز عام ٢٠١٢م مقالاً في جريدة القبس الغراء ، للأخ الكاتب عبد اللطيف الدعيج بعنوان (ناصر المحمد في مواجهة ابن تيمية) قال فيه : صدر حكم ضد أحد المواطنين الذي أساء إلى ابن تيمية ، رحمه الله ، وهنا عدة أمور نود مناقشتها فيها يلي :

١- الأخ عبد اللطيف أصلحه الله وهداه يعترض على حكم القضاء الكويتي على من أساء لرمز من رموز أهل السنة وعالم من علماء الإسلام ، هذا القضاء العادل نفتخر به ، ويشهد له معظم الناس في الداخل والخارج ، وذلك أمر لا يليق بكاتب محترم يضع نفسه موضع الجهلة المزايدين من الذين ينتقدون القضاء ويجرحون في رجاله وأحكامه ، حتى انبرى لهم المحامون مدافعين عن القضاء والقضاة ، ومجال نقد أحكام القضاء ، درجات القضاء الثلاث ، لا بساحات الإعلام وصفحات الجريدة ، أما قضية سمو الشيخ ناصر المحمد رئيس الوزراء والأخ خالد فضالة ما زالت منظورة أمام القضاء لم يبت فيها بحكم انتهائي بعد ، وهي من هذا القبيل ، وما يجري بين الناس من منازعات شخصية أو مالية في المحاكم ليس من الحكمة ولا من الأخلاق الحميدة إشاعته ونشره والتباهي بالسبق الصحفي في شأنه .

٢- لا يحسب القارئ الكريم أنني بهذا ضد إرادة التعبير ولا كشف المسيئين سارقي أموال وحريات الشعب ، التي طالما دافعنا عنها ، كما دافعنا عن عقيدة الشعب الكويتي وتراثه ووحدته الوطنية ، لا تحسب أننا نهون بهذا من مكتسبات شعبنا وأبناء وطننا ووحدتنا الوطنية ، بل نشد على يد كل من يدافع عنها ، وكثيرا ما كنا نشيد ونؤيد ما يكتب في جريدة القبس الحرة في هذا المضمار .

مواريث أهل الكويت وتقاليدهم :

٣- ماذا يقصد الأخ عبد اللطيف الدعيج حفظه الله من قوله في مقاله الآنف الذكر من استعداء النواب والكتاب من التصدي لمواريث أهل الكويت وتقاليدهم الموروثة ، وهذا نص ما قال : (أنا ضد التخفي المخزي خلف معارضة الحكومة بدلاً من معارضة المواريث والتقاليد البالية التي يتهرب دعاة الحرية والناشطون السياسيون من مواجهتها) .

عجبا كيف لا تريد من الناشطين والسياسيين ألا يعارضوا الحكومة – إذ رأوا ما يوجب المعارضة – وتريدهم أن ينقضوا على مواريث أهل الكويت – يعني رموز علمائهم وتاريخهم وتقاليدهم الموروثة أبا عن جد

إني لأتذكر في هذه الساعة عائلة الدعيج الكرام التي تنتسب إليها وغيرها من العائلات الكويتية المحترمة كم قدموا من أعمال خيرية ، وكتب علمية ، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، إن كنت تقصد يا أخي ! من كل ما كتبت من غمز ولمز في تراث أهل الكويت وتاريخهم وتقاليدهم ، إن كنت تقصد الإمام ابن تيمية من هذا فاسمع ما أقوله لك .

الإمام أحمد بن تيمية شيخ الإسلام :

يبدو لي أنك لم تعرف من هو الإمام ابن تيمية ولا قرأت عنه ولا سمعت عنه إلا هذا الحكم العادل الذي عرف قدره ، إن كنت لا تعرف ابن تيمية فاقرأ المجلد الضخم الذي ألفه عن حياته وسيرته العلامة الشيخ محمد أبو زهرة أشهر عالم في مصر رحمه الله رحمة واسعة ، أو اطلع وشاهد المسلسلات التي أذيعت وقدمت عن حياته ونضاله .

شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب السيف البتار ، والقلم السيال ، هو العالم المجاهد هو الذي تقدم الجيش بسلاحه وحارب التتر والمغول ودافع عن ديار العرب والمسلمين بقلمه وسيفه وألف الكتب الكثيرة في الدفاع عن عقيدة أهل السنة وتبرئة أهل البيت الكرام مما نسب إليهم مما لا يصح ، وكان يجلهم ويحترمهم ، كما يحترم أصحاب رسول الله ﷺ ويدافع عنهم .

حارب ابن تيمية أصحاب العقائد الفاسدة ، من الصوفية والمعتزلة والخوارج والمرجئة والمشبهة والماتور يدية وأصحاب البدع ، وعباد القبور ، يا أخي عبد اللطيف حفظك الله اقرأ كتب ابن تيمية كما كان يقرأ آباؤك وأجدادك ، وانظر في فكر هذا الإنسان لتعرف العجب العجاب كيف كان نضال كتاب الإسلام ودفاعهم عن العروبة والإسلام ولولا هم ما وصلنا هذا العلم الغزير والكم الكبير ، انظر كيف كان يكتب ويدافع ابن تيمية الذي تقول عنه (شخصية تاريخية تحولت إلى رمم وليس للكويت وللكويتيين أدنى علاقة بها) .

وفاة الشيخ محمد حسين فضل الله رحمه الله :

بالأمس توفي عالم فاضل من علماء الشيعة هو الشيخ محمد حسين فضل الله ، ونعاه السنة والشيعة وأنا معهم أعزي بهذا إخواننا الشيعة بوفاة هذا العالم الجليل المعتدل المتميز بعلمه وفضله واجتهاده ومطالبته الدائمة بالوحدة الوطنية ، وجمع الكلمة ، وإن اختلفنا معه في مسائل لكن لا يمنعنا أن نشيد بفضله ونترحم عليه ، ونعزي أهله في وفاته .

أقول للملأ انظروا كيف يكون الشيعة مع علمائهم ولو اختلفو معهم يقدرونهم ويدافعون عنهم ويتقبلون العزاء في كل مكان فيهم ، وليكن ذلك عبرة لشبابنا شباب أهل السنة ولو كانوا غير متدينين ، ولو كانوا علمانيين كيف يرضون الإساءة لعلمائهم ورموز تاريخهم ، هداهم الله وغفر لهم ، وأخيراً لا يسعني إلا أن أقول للذين يسيؤن للأحياء ما قاله الشاعر : (والحي قد يغلب ألف ميت) .

الشيخ رحمة الله

ومناظرته مع القس فندر

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية)

اشتهر الشيخ رحمة الله بالمناظرة مع القساوسة في الهند ، وخاصة مع أشرسهم وأكثرهم كذباً وعناداً وذكاءً ، وأقواهم عند جماعته حجة ، ويتعالى بذلك ، ، ولكن الله هيأ له عالماً من علماء الهند أكثر منه اطلاعاً ، وأسرع بديهةً ، يشبهه بعضهم بأحمد ديدات ، في القدرة على مناظرة كبار رجال الكنيسة ، فأحمد ديدات ، مع مجموعة أفحمهم حتى انتصر عليهم ، وفي مقدمتهم القس سوكر ، الذي انهزم أمامه هزيمة نكراء ، وفضحه عند بني جنسه ، والشيخ رحمة الله مع القس الدكتور "فندر" .

وقد علت مكانة هذين الشيخين ، وهما من الهند ، وكان في هذا نصر للإسلام ، وإن من الواجب على كل مسلم ، أن يكون جندياً مستعداً للمواجهة ، في الدفاع عن دينه ، وخاصة مع أهل الكتاب ، الذين ديدنهم وضع الشبهات وبذل الجهد لوضع الأكاذيب ، على المسلمين ، وخاصة على الشباب ، الذين أفئدتهم خاوية ، وحصيلتهم من علوم الإسلام بضاعة مزجاة ، لعلهم يظفرون بشبهة ، تبلبل الأفكار ، أو نقد يلقى أذناً صاغية ولا يكلون ولا يملون في سعيهم وحججهم ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "عجبت لأهل الباطل وتمكسهم بباطلهم ، ولأهل الحق ونكوصهم عن حقهم" ولذا يخشى المسلم الحريص على دينه : من تسرب الوهن الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ ، وتفشيه في أمته ، وهو : حب الدنيا وكراهية الموت .

والله سبحانه وتعالى ، قد أخبر عن عداوتهم في سورة المائدة عدة مرات ، وفي الآية/٨٢ ، والآية/٥١ ، وفي سورة البقرة يقول سبحانه : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (سورة المائدة الآية/١٢٠) .

وكتاب المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله ، والدكتور فندر ، قد أصبح من أشهر كتب المناظرات ، بين الإسلام والنصرانية ، وقد ترجم لعدة لغات ، منها اللغة العربية ، وبين يدي نسخة باللغة العربية الطبعة الثانية عام ١٤١٢هـ ، نشر دار ابن تيمية بالرياض ، وتقع في ٥٣٧ صفحة من القطع الكبير.

يقتضي الأمر التعريف بالشيخ "رحمة الله بن خليل الكيرانوي العثماني" حيث أثبت نسبه في ص/٢٩ متسلسلاً إلى عمر بن عثمان بن عفان الخليفة الثالث الراشد رضي الله عنه في الجد الرابع والثلاثين .

ولد في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ – الموافق ١٨١٨م ، في عائلة اشتهر أفرادها : بالعلم والطب والمناصب العالية في الحكومة ، ومن أجداده الحكيم "الطبيب" عبد الكريم – الملقب شيخ زمان ، ولما مرض الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر ، المولود عام ١٥٥٦م ، ولم يحسن الأطباء علاجه ، طلب الحكيم عبد الكريم ، فاشترك مع ابن الحكيم : محمد حسن في معالجة الإمبراطور ، ولما شفاه الله على أيديهما ، منحهما أرضاً زراعية واسعة ، بمقاطعة كيرانه بمرسوم سلطاني مؤرخ في ذي القعدة عام ٩١٥هـ ، ولقب عبد الكريم بشيخ الزمان ، واتخذه طبيباً له خاصاً .

ففي هذه الأسرة التي نالت الشهرة في العلم والطب ، والمكانة الاجتماعية الكبيرة ، ولد الشيخ "رحمة" بن خليل ، وتزوج ابنة خالته عام ١٢٥٦هـ ، لكنه لم ينجب أولاداً ذكوراً [٣١ – ٣٢] .

يقول : وقد اشترك في الثورة ضد الإنجليز ، واختفى عنهم مع بعض المجاهدين في إحدى القرى ، وتعاون معه الأهالي في الاختفاء ، مما اضطره إلى تغيير اسمه إلى "مصلح الدين" فركب زورقاً "إلى مخا" باليمن حتى لا ينكشف عند الإنجليز الحاقدين عليه ، في مناظرته مع القس : أكبر منصر في الهند "فندر" ولقيادته الثورة ضدهم .

ومن : "مخا" سافر براً إلى مكة المكرمة ، فوصلها بعد سنتين سنة ١٢٧٤هـ – ١٨٥٩م مهاجراً إلى الله [٣٦ – ٣٧] ويقول عمر عبد الجبار عن المناظرة : في عام ١٢٧٠هـ ، عقد الشيخ رحمة الله اجتماعاً حضره كبار علماء الهند والمسيحيين ، لمناظرة أكبر قسيس وهو "فندر" رئيس البعثة

التبشيرية بالهند ، فما زال يناظره بالبراهين العقلية ، والحجج النقلية ، حتى أفحمه وهزمه ، شر هزيمة ، فسر المسلمون لنصره ، وغضب الإنجليز على "فندر" ، فأقالوه من رئاسته ، فلجأ إلى استانبول ، وطلب من السلطان عبد العزيز ، التوسط لدى الإنجليز بالعفو عنه .

وصادف أن الإنجليز بعد ثلاثة أعوام من هذه المناظرة ، زحفوا على الهند عام ١٢٧٣هـ – ١٨٥٧م ، فأبادوا حكومتها الإسلامية ، وشردوا رجال الدين ، فثار الشيخ رحمة الله ضدهم ، وأعلن الجهاد ، ولما فشل ضدهم ، صادرت الحكومة الإنجليزية : أمواله وعقاره ، وخصصت جائزة لمن يأتيها برأسه ، لكن هاجر إلى مكة ، وكان السلطان العثماني : عبد العزيز ، كتب لأمير مكة الشريف عبد الله شات ، يطلب منه الاستفسار من الحجاج الهنود ، عن حقيقة مناظرة الشيخ رحمة الله ، للقسيس "فندر" وعن الحوادث التي جرت على أثرها بالهند .

فكتب إليه الشريف عبد الله ، للسلطان عن ذلك ، وعن التجاء الشيخ رحمة الله بمكة ، فطلب السلطان حضوره إلى استانبول ، ونزل بالقصر "الهمايوني" وما إن علم "فندر" بوصوله ، إلا وهرب خوفاً من مناظرته ، وإفحامه ، فلما علم السلطان عبد العزيز بهروب القسيس ، أعاد الشيخ رحمة الله إلى مكة ، بعد أن أكرمه ، ثم بنى الشيخ له ولأسرته دارين بالخندريسة [دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ص/٩٥] .

وقال مؤلف كتاب المناظرة : ولما رأى الشيخ رحمة الله ، أن الدراسة تقتصر في المسجد الحرام وليس لها منهاج ثابت ، والمدرسون لا يتعدون العلوم الدينية واللغة العربية ، أراد إدخال علوم جديدة في مكة : كالهندسة والرياضيات وعلوم المناظرة ، والعلوم الفلكية ، وأحضر الكتب من الهند ، وكان يوماً مشهوداً ، في تاريخ التدريس في المسجد الحرام ، عند ما أخذ الشيخ رحمة الله ، يدرس كتاب حجة الله البالغة ، في حكمة التشريع ، وشرح الجغميني في علم الفلك ، ومقدمة ابن خلدون ، وقد فصّل في تدريسه ، بين علمي النحو والصرف ، بعد أن كانا يدرسان معاً ، وكان يدرس كل هذه العلوم في داره ، حتى تخرج على يديه كثير من العلماء والقضاة ، وكبار الموظفين ، الذين كان لهم دور كبير ، فيما بعد في تاريخ مكة

والجزيرة ، وأسس المدرسة الصولتية بمكة .

محمود زنكي :

كان تركياً سلجوقياً ، ولد بحلب عام ٥١١هـ ، أظهر ببلاده السنة ، وأمات البدعة ، وأمر بالتأذين بحيَّ على الصلاة وحي على الفلاح ، ولم يؤذن بهما في دولتي أبيه وجده ، وإنما كان يؤذن بحي على خير العمل ، وأقام الحدود وفتح الحصون ، وكسر الفرنج مراراً .

ذكر ابن الأثير أن الملك محمود ، بينما هو ذات يوم ، يلعب بالكرة ، إذ رأى رجلاً يحدث آخر ، ويومئ إليه فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه ؟ فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم ، وهو يزعم أن له على نور الدين محمود زنكي حقاً يريد أن يحاكمه عند القاضي .

فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك ، ألقى "الجولكان" من يده ، وأقبل مع خصمه عند القاضي ماشياً ، والقاضي هو "الشهرزوري" ، ثم أرسل إليه قائلاً : لا تعاملني إلا معاملة الخصوم .

فحين وصل ، وقف نور الدين محمود زنكي ، مع خصمه بين يدي القاضي ، حتى انفصلت الخصومة ، وانتهت المحاكمة ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق ، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل .

فلما تبين ذلك للسلطان ، قال : إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع ، إذا دعي إليه ، فإنما نحن معاشر الحكام ، أعلانا وأدنانا : خدم وحراس لرسول الله ﷺ ، ولشرعه ، فنحن قائمون بين يديه ، طوع مراسيمه ، فما أمرنا به امتثلناه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ، وأنا أعلم أنه لاحق للرجل عندي ، ومع هذا أشهركم أني قد ملكته ذلك الذي ادّعى به ووهبته له وقد كانت زوجته عصمة الدين خاتون بنت معين الدين تكثر القيام في الليل ، فنامت ذات ليلة ، عن وردها ، فأصبحت وهي غضبى ، فسألها نور الدين عن أمرها ، فذكرت نومها ، الذي فوت عليها تهجدها ووردها ، فأمر عند ذلك ، بضرب "طبلخانه" في القلعة ، وقت السحر لتوقظ النائم ، ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى القائم على "الطبلخانه" أجراً جزيلاً ، وجراية كثيرة ، [البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٢٧١] .

[للبحث صلة]

أم البخاري

بقلم :الدكتور عبد الحكيم انيس
(كبير باحثين أول في دائرة الشئون الإسلامية والعمل الخيري ، بدبي)

في سنة ١٩٤هـ شهدتْ مدينة بخارى ولادة طفل، فرح به أبوه وسمّاه "محمداً" ، وكان قد سمّى أخا له من قبل "أحمد" تبركًا باسم النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان هذا الأب ويُسمَّى "إسماعيل" رجلاً صالحاً ورعاً، حجَّ إلى بيت الله، وزار النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ورأى إمامَ دار الهجرة مالك بن أنس، وروى عنه بعضَ الأحاديث، ولم يلبث أنْ أدركه الموتُ قبل أنْ يشبَّ "محمد" فقال وهو على فراش الموت - كلمة تدلُّ على تديُّنه الصادق، وورعه الشديد، قال: إنّه لا يعلمُ في ماله درهما من حرام، ولا درهما من شبهة. وانتقل إلى ربه، وهو مطمئنٌ على أجساد نبتتْ من الحلال أنَّ الله لن يضيعها .

واحتضنتْ زوجة إسماعيل ولديها، وقامتْ عليهما أحسنَ قيام، ولكن حصل ما كدَّر عيشها، وأرَّق ليلها وأطال همَّها، فقد ذهب بصر "محمد" ابنها الصغير، وبات لا يَرى شيئا، وما من شيء أقسى على قلب الأمّ من مرض عارض ينزلُ بأحد أبنائها فكيف بعلة كهذه، قد تلازم الإنسانَ في حياتهِ كلها، وتصرفهُ عن العلم، وتحولُ بينه وبين حرية الحركة، ومتعة السفر، ولذة الحياة، وجمال الدنيا ؟

ماذا تصنعُ تلك الأم، وهذا محمدٌ وليدُها المدلَّل جالسٌ لا يتحرك، وإذا قام تعثّر في مشيته، وأصبح محتاجا إلى المساعدة في شؤونه كلها! ماذا تصنع !

وهنا ألهمها الملهمُ الكريمُ الذي لا تُغلق أبوابُه، ولا يُسدل حجابُه، ولا تنقطع عطاياه، ولا تنفد مواهبُه، ألهمها كما يُلهم القلوبَ المنكسرة والنفوسَ الضارعة، أنْ تلجأ إليه، وتتوسلَ بكرمه وجوده .

واستجابتْ أمُّ محمد لإلهام ربها ونداء قلبها، وكانت إذا أسدلَ الليلُ أستاره، وأخلد محمدٌ وأخوه إلى النوم، وخلَّ السكونُ على بخارى، كانت تقوم فتتوضأ وتقفُ بين يدي مولاها باكية داعية شاكية إليه ما نزل بعينَي (محمدٍ) من عمى، وما نزل بقلبها من هم، وما نزلَ بالبيت من حزن .

ودامتْ على ذلك مدة، وقد استطابتْ هذه الوقفة بين يدي الله تبثه نجواها، وترفعُ إليه شكواها، وتطرقُ بابَهُ الكريم، ولا بدَّ لباب الكريم إذا طرق من أنْ يفتح :

وذات ليلة قامتْ أمُّ محمد فصلَّتْ ودعتْ، ودعتْ، وألحتْ في الدعاء، ثم أدركتها سِنةٌ من النوم، وإذا بها بإبراهيم الخليل عليه السلام يقول لها : (يا هذه ، قد ردَّ الله على ابنك بصرَه بكثرة دعائك) واستيقظتْ وقلبُها يخفق من هذه الرؤيا وبشارتها ووضوحها، وجلستْ تنتظرُ الصباحَ بفارغ الصبر .

وأذن لصلاة الفجر، وأيقظتْ أمُّ "محمد" ولديها للصلاة، وهنا كانت

المفاجأة ورأت صدقَ الرؤيا ... لقد أبصرَ "محمد" وقام يتوضأ وحده، وبكت الأمُ وسجدتْ لله تبلّ مصلاها بدموعها .

وكأنها أرادت أنْ تشكر الله عند بيته، فأخذتْ ولديها وانطلقوا إلى مكة، فحجّوا وذلك سنة (٢١٠هـ)، ورجعت الأمُ وأحمدُ إلى بخارى، وظلّ "محمد" هناك يطلب العلم .

ثم طاف البلادَ: العراق والشام ومصر، وأخذ عن (١٨٠٠) شيخ، وظهر نبوغُه، وتميّز على أقرانه، وطار اسمُه في الآفاق، وألف المؤلفات الرائعة، وعلى رأسها كتابه "الجامع الصحيح المسنَد المختصر من أمور رسول الله صلى اله عليه وسلم وسُنَنِهِ وأيامه" المعروف بـ "صحيح البخاري" الذي حظي بثناءٍ ما بعده ثناء، فقيل عنه: إنّه أصح كتابٍ بعد كتاب الله !

وله كتاب "الأدب المفرد" الذي لا يستغني عنه مسلمٌ يريد أنْ يتأدّب بآداب الإسلام .

وكان إلى جانب مواهبه العلمية موهوباً في الرمي :

يقول كاتبه: (كان يركب إلى الرمي كثيراً، فما أعلمُ أني رأيته في طول ما صحبتُه أخطأ سهمُهُ الهدفَ إلا مرتين، بل كان يُصيب في كل ذلك ولا يُسبق) .

وما زال يترقى في مراتب العلم، ومنازل العمل، ومدارك الفضل، حتى أصبح وجودُه زينةً للأمة، وأيامُهُ مواسمَ للخير، تحتفلُ بقدومه البلاد، ويتمنى رؤيتَه العلماء .

وكان في الناس مَنْ يود أنْ يهبه مِنْ عمره، فهذا العالم الجليل يحيى بن جعفر البيكندي يقول: (لو قدرتُ أن أزيد مِن عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلتُ، فإنّ موتي يكون موتَ رجلٍ واحد، وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهابُ العلم) .

وفي ليلة عيد الفطر سنة (٢٥٦هـ) استأثر اللهُ بروح محمد بن إسماعيل، فعاد إلى ربه راضياً مرضيا .

وفي حدود سنة (٧٣٠هـ) زار الرحالةُ ابنُ بطوطة قبرَه في بخارى، ورأى أسماءَ مصنّفاته مكتوبة على شاهد القبر .

وقبل سنوات احتفلتْ أوزبكستان بذكراه التي لم تغب أبداً .

وحسبُه أن كتابه "الصحيح" يأخذ مكانا مهما في مكتبات جميع العلماء على وجه الأرض .

رحم الله محمدَ بن إسماعيل .

ورحم أباه الذي لم يُطعمه إلا حلالاً .

ورحم أمّه التي ربّت فأحسنت التربية، وإليها يعودُ الفضل في عودة النور إلى بصر محمد، فملأ الدنيا نورا وبَصارة (١) .

---

(١) المصدر : "هدى الساري" مقدمة "فتح الباري بشرح البخاري" لابن حجر العسقلاني ص/٤٧٧ – ٤٩٤ ، و "رحلة ابن بطوطة" ص/٣٦٨ – ٣٦٩ ، ونص الخبر في "هدي الساري" : "روى غنجار في "تاريخ بخاري" ، واللالكائي في "شرح السنة" ، في باب كرامات الأولياء ، منه أن محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه في صغره فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام فقال لها : يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك ، قال : فأصبح وقد ردّ الله عليه بصره" .

المكتبة الشاملة
نسخة العلماء

الموالي في عهد النبي ﷺ
وأشهر العلماء منهم

بقلم : محمد علي الوائي – كروائل/كيرالا

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين ، وآله وصحبه أجمعين ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، أما بعد .

ها هو ذا أفضل البشر بعد الأنبياء أبو بكر الصديق رضي الله عنه عوتب في رجال ... ! من هم حتى عاتب النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه في شأنهم ؟ هكذا كانت تلك الواقعة ، إن سلمان وصهيباً وبلالاً رضي الله عنهم كانوا قعوداً ، فمر بهم أبو سفيان ، فقال واحد منهم : "ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ؟ فأُخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك... فقال : يا أبابكر ! لعلك أغضبتهم..؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك...! فرجع أبوبكر ! رضي الله عنه إليهم فقال : "أي إخواننا لعلكم غضبتم؟ قالوا ... لا يا أبابكر يغفر الله لك !

هؤلاء كانوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من الموالي الذين ذاقوا مرارة الحياة طوال حياتهم ، حتى جاء الإسلام واعتبرهم بأسلوب لم يعتبر بمثله دين من أديان أخرى ، وتمتعوا في ظل الإسلام بكونهم العبيد ، وذلك لما سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يبشرهم بما سينال العبد المؤمن بطاعة الله وطاعة مولاه من الثواب والأجر .

فماذا حالهم ؟ هل تكبروا وتشردوا ؟

ها هو ذا بلال بن رباح رضي الله عنه ، ذهب يوماً يخطب لنفسه ولأخيه زوجتين ، فقال لأبيهما : أنا بلال ، وهذا أخي ، عبدان من الحبشة ، كنّا ضالين فهدانا الله ، فكنّا عبدين فأعتقنا الله ، إن تزوجونا فالحمد

الله ، فإن تمنعونا فالله أكبر !

هيّا نروح إلى حالهم في الإسلام ، وفي غيره من الأديان .

كلمات في معنى المولى :

عبد : والجمع عباد ، وقد ورد في القرآن الكريم على صيغة الجمع ـ عباد ـ كما في الآية" وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم". وتستخدم في العربية الفصحى كلمة 'رقيق' بدلا للعبد للدلالة على المذكر والمؤنث ، على أي حال فإن كلمة رقيق أيضاً لم ترد في القرآن الكريم لهذا المعنى ، والكلمة التي وردت في القرآن لهذا المعنى فهي كلمة 'رقبة' معناها العنق كما في الآية الكريمة – ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (سورة البلد الآيتان/١٣ – ١٤) وأما كلمة مولى فهي كلمة يشترك فيها معنى متضادين ، وهما المالك والعبد ، وتطلق عليهما هذه الكلمة على السواء .

آراء المفكرين :

قد اعتبر أفلا طون الرق عملا ضروريا طبيعيا لا يمكن أن تستغني عنه جمهوريته الفاضلة التي تخيلها ، فالأرقاء ضروريون ، لكنهم لا يتساوون مع الأحرار بشيئ ، وكان قاسيا في النظام الذي سنّه لعقاب الأرقاء في جمهوريته الفاضلة ، فالعبد الذي يتطاول على حر غير سيده جزاءه أن يسلم لهذا الحر لينتقص منه بما يشاء وكيفما يشاء .

فقد ذهب أرسطو إلى أن الله خلق فصيلتين من الناس. الأولى ـ فصيلة مدها الله بالعقل والإرادة ، وهم اليونان ، ليكونوا خلفاءه في الأرض وسادة على خلقه ، والثانية ـ فصيلة لم يمدها الله إلا بقوة جسمانية ، وهم البرابرة أي الذين ليسوا من اليونان ، وقد خلقهم الله ليكونوا عبيداً لسادة اليونان ومسخرين للعمل والإنتاج. وأوجب أرسطو على اليونان أن تحرصوا على سيادتهم وأن يبقوا من عداهم في قيود الرق .

قول رحمة العالمين صلى الله عليه وسلم :

ها هو ذا نبي هذه الأمة يقول في حديثه الشريف : "ما زال جبريل يوصيني بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستخدم ولا تستعبد"(رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها) وهو يؤكد هذا بمقولته المشهورة حين قال :"لا يقل أحدكم عبدي و أمتي ، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي ـ رواه مسلم ـ

كما ينادي أولاده .

وقال صلى الله عليه وسلم عن الموالي : والحديث رواه البخاري رحمه الله في باب المعاصي من أمر الجاهلية حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : إني سابيت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه و سلم : (يا أبا ذر ! أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) .

الرق قبل الإسلام :

والموالي كانوا يمثلون سلعة متوافرة في العالم قبل مجيء الإسلام ، وحقق التجار من بيع هذه السلعة العظيمة أرباحا طائلة ، وقد كانت العبودية شائعة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام كما كانت هي شائعة في بقية الدول العالمية القديمة ، ومن الأسف أن المعلومات التي وصلت إلينا عن فترة ما قبل الإسلام غير كافية لتقديم الأسباب التي سببت للرقة في العالم. كما يعلم من المصادر ، أن تجارة الرقيق ليست وليدة في عهد الإسلام ، بل لها علاقتها المتينة الممتدة إلى ما قبل الإسلام بآلاف من السنين ، ويدل إليه ما ورد في القرآن عن قصة نبينا يوسف عليه السلام حينما ألقي في غيابة الجبّ ثم أخرجه التجار ثم جعلوه عبدا مملوكا لهم حتى يباع في السوق .

والسبب المهم الذي سبّب لانتشار الرقة في العالم هو افتداء أسرى الحرب ، وهذه الفدية كانت شائعة في تلك الفترة. وهؤلاء الأسارى من الحرب محرومون من كل أنواع الحقوق الإنسانية ، أولئك كالأنعام بل في أكثر الأحوال كانوا يعيشون في أضل من الأنعام. وحينما ننظر إلى الأرقاء في عهد اليونان ـ الذي يعتبر مهد الحضارات ومسرح الثقافات ـ كان الرق نظاما طبيعيا شائعا عندهم ، وكانوا قساة في المعاملة مع أرقائهم ، واعتبروا بالأرقاء اعتبارهم بالجواميس ، وذلك بأنهم كانوا يعنون بالرق وضعاً قانونياً يجرّد الفرد تجريداً كاملاً من حريته المدنية ، فلا يجوز له

إجراء أي عقد ولا تحمّل أي التزام ، وينزع عنه أهلية التملك ويجعله هو نفسه مملوكاً لغيره ، وينزله من بعض النواحي منزلة السلعة يتصرف فيها السيد كيف يشاء. وكان الرق في دولة الرومان ، وفارس ، والهند ، والصين وغيرها من الدولة معاملة وحشية قاسية ، وكانت إنسانيته مهدورة ، وكرامته منتهكة ، ومسؤوليته في العمل ثقيلة ، وإن كانت تختلف من دولة إلى دولة قليلا أو كثيرا في مدى قسوتها وبشاعتها .

ظهر الإسلام في عصر كان نظام الرق فيه دعامةً ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، فلم يكن من الإصلاح الاجتماعي أن يحول هذا إلى التحريم البتة لأول وهلة. كانت منافذ العتق قبل الإسلام ضيقة كل الضيق ، فلم يكن له إلا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى في تحرير عبده ، فبدون هذه الرغبة كان مقضيا على الرقيق أن يظل هو وذريته راسخين في أغلال العبودية أبد الآباد ، هذا إلى أن معظم الشرائع السابقة للإسلام كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده إلا في أحوال خاصة ، وبشروط قاسية وبعد إجراءات قضائية ودينية معقد كل التعقيد ، وبجانب هذا كله كان بعض هذه الشرائع يفرض على السيد إذا عتق عبده غرامة مالية كبيرة يدفعها إلى الدولة ، لأن العتق كان يعد تضييعاً لحق من حقوق الدولة .

الوسائل التي اتخذها الإسلام لتصفية الرقيق :

جاء الإسلام ، وهذه أحوال الرق في ضيق منافذه وقسوة شروطه ، فحطم جميع هذه القيود ، وفتح للعبيد أبواب الحرية على مصراعيها ، وأتاح لتحريرهم آلافا من الفرص ، وأوجب للعتق من الأسباب ما يكفي بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير بعيد. ومع هذا لم يترك الإسلام الرقيق تحت رحمة القوانين التي كان يسير عليها نظامه ، بل استبدل بهذه القوانين أخرى تفيض بالعطف عليه وتحترم إنسانيته وتمنحه كثيراً من الحقوق المدنية وتحض على حسن معاملته ، تحميه من عسف سيده واعتداء غيره كما حرص الإسلام في حريتهم وكرامتهم .

فقد عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها تحرير الرقبة ، لم يكتف الإسلام بهذا

وحده ، بل خصّص كذلك سهما من مال الزكاة ، أي جزاء من ميزانية الدولة في الإنفاق على تحرير الأرقاء وعتقهم ومساعدة من يحتاج منهم المساعدة في سبيل تحريره كالمكاتبين .

فجعل الإسلام من أسباب العتق أن يجري على لسان السيد - في أي صورة - لفظ يدل صراحة على عتق عبده ، سواء أكان قاصدا معنى اللفظ أم لم يكن قاصداً له ، بأن جرى خطأ على لسانه ، سواء أكان جاداً في إصداره أم كان هازلاً ، سواء أكان في حالة الرشد أم فاقد الرشد بفعل الخمر وما إليها من المخدرات ، وفي هذا يقول منقذ البشرية محمد صلى الله عليه وسلم : "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد وعدَّ منها العتق (١) ومن أسباب العتق كذلك أن يجري على لسان السيد في أية صورة لفظ يدل على التدبير أي يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده. وهكذا جعلت شريعة الإسلام سببا لتحرير الرقبة أن يأتي السيد من جاريته بولد ، ففي هذه الحالة يعتبر الولد حرا من يوم ولادته ، وتصبح الأم نفسها مستحقة للحرية بعد وفاة سيدها. وفي هذا يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن جاريته مارية القبطية رضي الله عنها حينما ولدت ابنه إبراهيم رضي الله عنه : "أعتقها ولدها" (٢) أي أن مجيئها بهذا الولد جعلها مستحقة للحرية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن أسباب العتق في الإسلام كذلك أن يكاتب السيد عبده ، أي أن يتفق معه على أن يعتقه إذا دفع له مبلغا من المال. وحثّت الشريعة جميع المسلمين على مكاتبة الموالي حينما يلتمسون المكاتبة ، وها هو ذا رب هذه البشرية يقول : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (سورة النور الآية/٣٣) .

---

(١) في ثلاث جدهن جدٌ وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق : جامع الأحاديث للعلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله (القاضي أبو علي عبد الله بن علي الطبري في الأربعين عن أبي هريرة) . أورده الرافعي من طريق القاضي أبي علي عبد الله بن علي الطبري (٢٢٦/١) .

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لأم إبراهيم حين ولدت : "أعتقها ولدها" ، ص/٣٥٣ الجزء ٩ باب عتق أمهات الأولاد ، السنن الصغرى للبيهقي رحمه الله .

وفضلا عن هذا كله فقد عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها تحرير الرقبة ، حينما كانت الجرائم في الشرائع السابقة للإسلام تؤدي إلى استرقاق الأحرار.! أما في الإسلام فهذه الأخطاء والجرائم تؤدي إلى تحرير الرقبة. والإسلام ينظر إلى تحرير الرقبة على أنه قربة كبيرة يتقرب بها العبد إلى ربه ويكفر بها خطاياه ، وجعل الإسلام تحرير الرقيق كفارة للقتل الناشئ عن خطإ ، وفي هذا يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ (سورة النساء الآية/٩٢) .

أشهرهم عند النبي صلى الله عليه وسلم :

جاء الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم مسوّين كل تفرقة بين الناس على حسب الولادة واللون والقبيلة ، حتى جعلهم خير أمة أخرجت للناس ، ضمهم نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم إلى صفه وفريقه الذي بنى على أساس وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى (٣) ويوجد في التاريخ كثير من الذين وجدوا ملاذاً من الذل الذي لحقهم بسبب الرق أو الاستضعاف أو اللون. ومن أشهرهم بلال بن رباح ، وسلمان الفارسي ، وآل ياسر ، وأبوذر الغفاري ، وصهيب الرومي ، وخباب بن الأرت ، وزيدبن حارثة ، وعبد الله بن مسعود ، وابن أم مكتوم ، والنهدية وابنتها زنيرة ، وأبوفكيهة - أفلح مولى بني عبد الدار ، وإبراهيم بن جابر كان عبداً لخرشة الثقفي ، وأزرق بن عقبة الثقفي ، وأهل الصفة كلهم ، وغيرهم من الموالي رضي الله عنهم أجمعين. وبعد حين أصبح أكثرهم أمراء على المسلمين أو قادة لجيش الإسلام ، أو علماء نبلاء يشار إليهم بالبنان .

بلال بن رباح رضي الله عنه :

كان عمر بن الخطاب ، إذا ذكر أبو بكر قال :" أبو بكر سيدنا وأعتق سيّدنا"..يعني بلالا رضي الله عنه. وإن رجلا يلقبه عمر بسيدنا هو

(٣) تفسير سورة الحجرات ، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي رحمه الله ، صفحة ٣٤٢ ، جزء ١٦..

رجل عظيم ومحظوظ..لكن هذا الرجل الشديد السمرة ، النحيف الناحل ، المفرط الطول ، الكث الشعر ، الخفيف العارضين ، لم يكن يسمع كلمات المدح والثناء توجه إليه ، وتغدق عليه ، ألا ويحني رأسه ويغض طرفه ، ويقول : وعبراته على وجنتيه تسيل : "إنما أنا حبشي .. كنت بالأمس عبداً".. !! فمن هذا الحبشي الذي كان بالأمس عبدا..!! إنه "بلال بن رباح" مؤذن الاسلام ، ومزعج الأصنام (٤) .

وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ثم يقول : لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك : أحد أحد ، فمر به أبو بكر رضي الله عنه فاشتراه منه وأعتق ، والتزم بعده بالنبي صلى الله عليه وسلم. ومات رضي الله عنه في الشام حينما كان مرابطا في سبيل الله - كما كان هو مراده... وتحت ثرى دمشق يثوي اليوم رجل كان أصلب الرجال توحيداً وأبيضهم إيمانا .

عمار بن ياسر رضي الله عنهما :

هو الإمام الكبير أبو اليقظان العنسي المكي مولى بني مخزوم ، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، وهو ممن آمنوا بالإسلام حيث ليس للمسلمين رفيق إلى العذاب والاستيذاء ، وليس لهم ناصر سوى الله ، وفي مناقبه ورد الحديث عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر ، اهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود. فاقبلوه (٥) .

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقتل أبي جهل في غزوة بدر الكبرى قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار رضي الله عنه ، قتل الله قاتل أمك (٦) يقال : إنه أول من اتخذ المسجد في بيته يتعبد فيه. ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : جاء عمار يستأذن على النبي صلى

(٤) رجال حول الرسول ﷺ ، للمؤلف خالد محمد خالد ، صفحة ١٦ جزء ١ .
(٥) الباب : واحة التوحيد ، موسوعة البحوث والمقالات العلمية .
(٦) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، صفحة ٧١٢ جزء ٧ .

الله عليه وسلم يوماً فعرف صوته فقال : "مرحباً بالطيب المطيب ائذنوا له"(٧) وأجمعوا على أنه قتل مع علي رضي الله عنه بصفين سنة سبع وثمانين في ربيع ، وله ثلاث وتسعون سنة .

زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هو الرجل الوحيد الذي ذكر اسمه في القرآن العظيم ، وكان مملوكا لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وهبت للنبي صلى الله عليه وسلم بعد زواجه منها ، وأعتق فورا ثم تبناه. كفاه فخراً إنه يعرف بين الناس بـ زيد بن محمد صلى الله عليه وسلم. وفوق هذا كان يحمل لقب الحب يعني حب الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو ممن أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا لم يحب مثلها أحدا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم يهيأ جيشاً فيه زيد بن حارثة رضي الله عنه إلا أمّره عليه. ها هو ذا يقف الرسول صلى الله عليه وسلم يودع جيش الإسلام الذاهب لملاقاة الروم في غزوة مؤتة ويعلن أسماء أمراء جيش المسلمين ، قائلا : عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب زيد فجعفر فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة الأنصاري" (٨) وانتقلت هذه الروح المباركة إلى جوار ربه جل وعلا في غزوة مؤتة كما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أم أيمن :

مولاة النبي صلى الله عليه و سلم وحاضنته قال أبو عمر : اسمها بركة بنت ثعلبة ، وكان يقال لها أم الظباء ، وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : أم أيمن أمي بعد أمي ، كان ورثها عن أمه فأعتق رسول الله صلى الله عليه و سلم أم أيمن حين تزوج خديجة وتزوج عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج أم أيمن فولدت له أيمن فصحب النبي صلى الله عليه و سلم فاستشهد يوم خيبر ، وكان زيد بن حارثة لخديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه و سلم فأعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة ، كانت أم أيمن تلطف النبي صلى الله عليه و سلم وتقدم عليه فقال : من سره أن يتزوج امرأة

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، صفحة ٣٥١ جزء ١ .

(٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل لأبي عبد الله الشيباني ، صفحة ٢٩٩ ، جزء ٥ .

من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن فتزوجها زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة ، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لأم أيمن : يا أمه ، وكان إذا نظر إليها يقول : هذه بقية أهل بيتي (٩) .

سمية بنت خباط :

كانت رضي الله عنها مولاة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، وكان ياسر رضي الله عنه حليفاً لأبي حذيفة فزوجه سمية رضي الله عنها فولدت له عماراً وكان أهل ياسر ممن سبق إلى الإسلام ، وهي سابعة سبعة دخل الإسلام ، وحينما اعتنقت رضي الله عنها الإيمان لاقت من قريش إيذاء ما كان لمثلها أن تطاق ، عذبها أبوجهل حتى طعنها في قبلها فماتت رضي الله عنها فكانت أولى شهيدة في الإسلام.

سلمى :

وهي سلمى أم رافع امرأة أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنها مولاة صفية بنت عبد المطلب ، وهي التي قالت لحمزة رضي الله عنه – قبل إسلامه – حينما رجع من الصيد : " لو رأيت ما فعل أبو جهل بابن أخيك" حتى استشاط حمزة رضي الله عنه ومضى إلى أبي جهل فضربه بالقوس ، وقد سبب مقولتها هذه إلى إسلام حمزة رضي الله عنه. وكانت تخدم النبي صلى الله عليه و سلم ، قالت : ما كان برسول الله صلى الله عليه و سلم قرحة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء. وكذا أيضا في الحديث : جاءت سلمى امرأة أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه و سلم تستأديه على أبي رافع وقالت : إنه يضربني فقال : مالك ولها ؟ قال : إنها تؤذيني يا رسول الله قال بم آذيته يا سلمى قالت : ما آذيته بشيء ولكنه أحدث وهو يصلي فقلت يا أبا رافع إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ فقام يضربني فجعل يضحك ويقول : يا أبا رافع لم تأمرك إلا بخير (١٠) .

(٩) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، صفحة ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ جزء ٨.

(١٠) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، صفحة ٧٠٩ ، جزء ٧ .

أميمة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم :

وهي أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه و سلم قال أبو عمر : خدمتْ رسول الله صلى الله عليه و سلم.، وفي الحديث أنها كانت توضئ رسول الله صلى الله عليه و سلم فأفرغ على يديه الماء إذ دخل عليه رجل فقال يا رسول الله ! إني أريد اللحوق بأهلي فأوصني فقال : لا تشرك بالله وإن قطعت أو حرقت (١١) .

زائدة مولاة عمر بن الخطاب :

كانت من المجتهدات في العبادة وهي تحدثنا ملاقاته مع الخضر عليه السلام تقول :" كنت عجنت لأهلي فخرجت لأحتطب فإذا برجل نقي الثياب طيب الريح كأن وجهه دارة القمر على فرس أغر محجل : فقال : هل أنت مبلغة عني ما أقول ؟ قلت : نعم إن شاء الله قال إذا لقيت محمدا فقولي له إن الخضر يقرئك السلام ويقول لك ما فرحت بمبعث نبي ما فرحت بمبعثك لأن الله أعطاك الأمة المرحومة والدعوة المقبولة وأعطاك نهراً في الجنة" (١٢) .

أشهر علمائهم من التابعين :

نافع مولى ابن عمر :

أبو عبد الله مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب . من أئمة التابعين بالمدينة ، ديلمي الأصل ، مجهول النسب ، أصابه ابن عمر صغيراً في بعض مغازيه ، كان علامة في فقه الدين ، متفقا على رياسته ، أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن ، كان كثير الرواية للحديث ، ولا يعرف له خطأ في جميع ما رواه (١٣) ، سمع مولاه عبد الله بن عمر ، وأبا سعيد الخدري ، وروى عنه الرهبي ، وأيوب السختياني ، ومالك بن أنس رضي الله عنهم. ونافع من الثقات الأفاضل الذين اشتهروا بجمع الحديث والأخذ عنهم.، وأهل الحديث يقولون رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر

(١١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، صفحة ٥١٦ ، جزء ٧ .

(١٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، صفحة ٦٣٣ ، جزء ٧ .

(١٣) الموسوعة الكويتية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت ، صفحة ٣٧٢ ، جزء ١٤ .

"سلسلة الذهب" لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة. توفي رحمه الله سنة ١١٧ الهجرية .

سليمان بن يسار :

هو أبو أيوب سليمان بن يسار الهلالي المدني - مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - من فقهاء التابعين ، معدود في الفقهاء السبعة بالمدينة ، روى عن ميمونة وأم سلمة وعائشة ، وفاطمة بنت قيس ، وزيد بن ثابت وابن عباس ، وابن عمر ، والمقداد بن الأسود وغيرهم ، وعنه عمرو بن دينار ، وعبد الله بن دينار ، وعبد الله بن الفضل الهاشمي وصالح بن كيسان ، وعمرو بن ميمون ، والزهري ، ومكحول ، وغيرهم ، وقال الحسن بن محمد ابن الحنفية : سليمان بن يسار عندنا أفهم من ابن المسيب ، وكان ابن المسيب يقول للسائل : اذهب إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقي اليوم ، وقال قتادة رحمه الله : "قدمت المدينة فسألت : من أعلم أهلها؟ قالوا : سليمان بن يسار". وقال مالك : كان سليمان بن يسار من علماء الناس بعد ابن المسيب (١٤) .

عكرمة مولى ابن عباس :

هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبدالله بن عباس رضي الله عنهم ، وأصله من البربر من أهل المغرب ، وكان مولى لحصين بن الخير العنبري فوهبه لابن عباس رضي الله عنهما حين ولي البصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. واجتهد ابن عباس رضي الله عنهما في تعليمه القرآن والسنة ، وسماه بأسماء العرب ، روى الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة ، قال : باع علي بن عبد الله بن عباس عكرمة من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ، فقال له عكرمة : ما خير لك ، بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار ؟! فاستقاله ، فأقاله وأعتقه (١٥) وهو أحد فقهاء مكة من التابعين. وروي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له : "انطلق فأفت الناس". وتوفي رحمه الله سنة ١٠٧ للهجرة ، وعمره ثمانون سنة .

(١٤) الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت ، صفحة ٢٨٨ ، جزء ١٤ .

(١٥) الموسوعة سير أعلام النبلاء ، صفحة ١٢ ، جزء ٥ .

مجاهد بن جبر :

هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي ، شيخ المفسرين ، أخذ التفسير عن ابن عباس قال : "قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت" ، كان ثقة فقيها ورعا عابدًا متقنا (١٦) روى رحمه الله عن ابن عباس ، فأكثر وأطاب ، وعنه أخذ القرآن ، والتفسير ، والفقه ، وعن أبي هريرة ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عمر ، ورافع بن خديج ، وأم كرز ، وجابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري ، وأم هانئ ، وأسيد بن حضير وغيرهم ، تلا عليه جماعة : منهم ابن كثير الداري ، وأبو عمرو بن العلاء ، وابن محيصن. وحدث عنه عكرمة ، وطاووس ، وعطاء ، وهم من أقرانه ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير ، والحكم بن عتيبة ، وابن أبي نجيح ، ومنصور بن المعتمر ، وسليمان الأعمش (١٧) ، وغيرهم .

عطاء بن أبي رباح :

أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم - وقيل : سالم - بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي ، وقيل : إنه مولى أبي ميسرة الفهري ، من مولدي الجند ؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها ، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقاً كثيراً من الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة ومالك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير ، رحمهم الله تعالى ، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما ، قال قتادة : أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر بن كيسان : أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحاً يصيح : لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح (١٨) وكان مفتي مكة ، شهد له ابن عباس وابن عمر وغيرهما بالفتيا (١٩) قال

(١٦) الموسوعة الفقهية الكويتية ، صفحة ٣٦٩ جزء ١ .

(١٧) سير أعلام النبلاء ، صفحة ٤٤٩ جزء ٤ .

(١٨) وفيات الأعيان لابن خلكان ، صفحة ٢٦١ ، جزء ٣ .

(١٩) الموسوعة الفقهية الكويتية ، صفحة ٣٦٠ ، جزء ١ .

سليمان بن رفيع : دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس كأنه غراب أسود. توفي سنة خمس عشرة ومائة ، وقيل : أربع عشرة ومائة ، وعمره ثمان وثمانون (٢٠) .

سعيد بن جبير :

هو سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، كان أعلمهم على الإطلاق ، وهو حبشي الأصل ، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ، ثم كان ابن عباس ، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، قال : أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيداً .

ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، على عبد الملك بن مروان ، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن ، فذهب سعيد إلى مكة ، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج ، فقتله بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيدا ، وما على وجه الارض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه (٢١) .

ابن سيرين :

هو محمد بن سيرين البصري ، الأنصاري بالولاء ، مولده ووفاته بالبصرة. نشأ بزازًا وتفقه ، كان أبوه مولى لأنس بن مالك رضي الله عنه ، ثم كان هو كاتباً لأنس بفارس. كان إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. روى الحديث عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت والحسن بن علي وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، واشتهر بالورع وتأويل الرؤيا. وقال ابن سعد : لم يكن بالبصرة أعلم منه بالقضاء (٢٢) .

وكان صاحب الحسن البصري رحمه الله ، وروى عنه قتادة بن دعامة ، وخالد الحذاء ، وأيوب السختياني وغيرهم من الأئمة رحمهم الله. وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتوفي رحمه الله سنة ١١٠ للهجرة بعد مائة يوم من وفاة الحسن البصري رحمه الله .

الحسن البصري :

هو الحسن بن أبي الحسن يسار ، أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت الأنصاري. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة. نشأ بوادي القرى وعاش بالبصرة وسكنها ، وكانت أم الحسن

(٢٠) وفيات الأعيان لابن خلكان ، صفحة ٢٦٢ ، جزء ٣ .

(٢١) الأعلام للزركلي ، صفحة ٩٣ جزء ٣ .

(٢٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، صفحة ٣٢٩ جزء ١ .

البصري مولاة لأم سلمة ، وكان اسمها خيرة ، وربما غابت أمه فيبكي الحسن وهو صبي ، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله بهما إلى أن تجيء أمه ، فدرّ عليه ثدياها فشرب ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك (٢٣) .

وكان الحسن البصري رحمه الله من سادات التابعين وأكابرهم بل من العلماء من يعدّونه سيد التابعين مع سعيد بن المسيب. وكان رحمه الله جامعاً لكل فن وعلم ، وورع ، وزهد ، وعبادة ، وأكثر كلامه رحمه الله حكم وبلاغة ، وقد امتاز الحسن بقوة العارضة ، والوقوف عند المحارم ، والجهر بكلمة الحق ، وتوفي رحمه الله سنة ١١٠ من الهجرة. وهو إمام زمانه علما وعملا .

أخيرا يبقى سؤال ... فهو لماذا لم يُلغ الإسلام ـ الدين اللائق لكل عصر ومصر ـ الرقة ؟

ومن المعلوم أن الإسلام قد ظهر في عصر كان نظام الرق فيه دعامة تتركز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، فلم يكن من الإصلاح الاجتماعي أن يحوّل هذا إلى تحريم لأول وهلة ، بل يؤدي تشريع إلغائه إلى أضرار بالغة فيكون في سوء نتيجتها وتأثيرها كما إذا ألغي في عصرنا هذا بشكل فجائي نظام البنوك أو الشركات المساهمة أو استخدام المواقع الإلكترونية أو استخدام البترول. فالرقيق كان بترول الآلة الاقتصادية في تلك العصور ، فإقرار الإسلام للرق كان إذن تحت تأثير ضرورات اجتماعية واقتصادية قاهرة .

المراجع :

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني .
- رجال حول الرسول لخالد محمد خالد .
- سماحة الإسلام للأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز القرشي .
- سير أعلام النبلاء مصدر الكتاب : موقع يعسوب .
- تاريخ التشريع الإسلامي لمناع خليل القطان .
- الموسوعة الفقهية الكويتية تصدر عن : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت .
- الأعلام لخير الدين الزركلي .

(٢٣) الكتاب : المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر بن أحمد بن مروان الدينوري المالكي ، صفحة ١٠٣ ، الجزء ٦ .

الخط العربي في مواجهة تحديات العصر

بقلم : الدكتور سعيد بن مخاشن (حيدرآباد)

الحمد لله الذي خلق اللغات وفضل العربية والصلاة والسلام على أفصح العرب وأفضل البشرية وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فإن اللغة العربية على قمة من درجات اللغات مطلقاً في العالم ، وأحلاها لفظاً ، وأقواها معنى ، وأوجزها لفظاً ، وأغزرها معنى ، وأبينها نطقاً ، وأبلغها كلاماً ، وأوفاها تعبيراً ، وهي التي ترتفع عن شواذ اللهجات ، ويزيد بهاءها وحسنها النص القرآني الذي يعد أفصح نص عربي على الإطلاق وأبينه وأصحه ، فلم يشبه شائبة النقد مطلقاً ، كما يمثلها الحديث النبوي الشريف الذي يعد أفصح الكلام بعد القرآن لأفصح العرب على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ .

بداية الخط العربي : إن فضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الندوي حفظه الله وحماه سلط الضوء مفصلاً على بداية الخط العربي فقال : "إن الكتابة لا تنشأ ولا تعم إلا في ظل مدنية ، وكان اتصال العرب في الشمال بالمدنية عند ما عرفوا نوعاً من الاستقرار ، وكثر اتصالهم بالأمم المجاورة للتجارة والأمور السياسية ، وكان أكثر هذه الطوائف اتصالاً بالمدنية ، الطوائف المستقرة على حدود سوريا لاحتكاكها بالروم ، وقد نزلت قبائل من الأعراب في المنطقة الممتدة من شمال الحجاز وخليج العقبة ، وتكونت لهم وحدة جغرافية وثقافة بعدية عن ثقافة العرب الجنوبيين ، وأسس هؤلاء العرب مملكة باسم النبط بعاصمتها في البطراء .

ابتدع هؤلاء لأنفسهم خطا اشتقوه من الخط الآرامي ، وكانت الكتابة الآرامية مربعة الحروف ، ثم تحولت بعد كونها خطاً نبطياً إلى الخط المستدير ، بنزوع إلى التربيع ، وهو أصل خط النسخ الحالي (إبراهيم جمعة – الثقافة – والمجمع العلمي) .

ويقول فريق من العلماء : إن رجالاً من طي وهم مرامر بن مرة وأسلم

ابن سدرة وعامر بن جدرة ، اجتمعوا بالقرب من الأنبار ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلم منهم قوم من الأنبار ومنهم أهل الحيرة ، ومن أهل الحيرة تعلم بشرة بن عبد الملك أخو أكيدر صاحب دومة الجندل ، وأتى مكة لبعض شأنه فتعلم منه سفيان بن أمية وأبو قيس بن عبد مناف ومنهما تعلم أهل الطائف ، وانتشر الخط العربي في الشام (جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) .

ويجمع العرب على أن الخط العربي مأخوذ من الخط الحميري الأنباري ، وهو مأخوذ من النبطي الكندي ، وهو مأخوذ من خط المسند الحميري ، أما قدامى العرب فيقولون : إن الخط العربي توقيفي مثل اللغة العربية (تاريخ الأدب العربي ، الأستاذ واضح رشيد الحسني ص/١٨١ – ١٨٢) .

دعوات هدامة ضد اللغة العربية ومعارضتها : إن اللغة العربية لها جذور مستقرة وأصول ثابتة في لغات العالم ، لكن لم يزل الغرب وأذنابه منذ القدم يحاولون الاعتداء عليها ، ويرون أنها لغة مختلفة تحتوي على تعبيرات دينية محضة وأساليب معقدة ولا تستطيع السير مع التطور والازدهار ، فلا بد من استبدالها بلغة تلائق العصر الماثل وتقوم بأداء مطلباته ، وتناسب بمستجداته وتحدياته وتحدياته ، ولا يهدفون بذلك إلا محاربة اللغة العربية الفصحى والتخلص منها ، لذا جعلوا يدعون تارة إلى العامية دعوة صريحة ، وتارة أخرى يدعون إلى التوسط بين الفصحى والعامية ، وأحياناً يدعون إلى فتح باب التطور في اللغة ، والاعتراف بحق الكتاب في تغييرها كيفما كان هذا التغيير ، وإلى أي مذهب ذهب ، وأحياناً يدعون إلى إسقاط أبواب معينة من النحو ، أو تعديل بعض قواعده ، فإذا لم ينجحوا في شيء من ذلك اكتفوا بالدعوة الباطلة إلى دراسة اللهجات العامية ، وحصر مفرداتها وأساليبها ووضع القواعد والمعاجم لضبطها وإحصائها ، ويدعون إلى ذلك باسم العلم ، واتباعاً للمناهج الأوربية في البحوث اللغوية الحديثة .

ومن أهم الدعوات الهدامة والدعايات الباطلة التي تقدمت بها هذه المجموعة الضالة واستهدفت بها القضاء على اللغة العربية الفصيحة : الاقتراح بإصلاح قواعدها ، وتحويلها إلى اللغة العامية ، ومنها : الاقتراح

بإصلاح الكتابة ، فيدعو بعضها إلى إصلاح قواعدها ، ويدعو بعضها الآخر إلى تحويلها إلى الحروف اللاتينية ، كما هدفت الأدب أيضاً ، فيدعو بعضها إلى العناية بالآداب الحديثة ، وما يتصل منها بالقومية خاصة ، ويدعو بعضها الآخر إلى العناية بما يسمونه "الأدب الشعبي" ويقصدون به كل ما هو متداول بغير العربية الفصيحة في الدول العربية ، مما يختلف في البلد الواحد باختلاف القرى وبتعدد البيئات .

ولا يريدون بذلك ، أي من الدعاية الباطلة بترك الخط العربي واختيار الحروف اللاتينية للكتابة إلا تفريق عصا المسلمين وتشتيت شملهم ووحدتهم الدولية بمختلف الحيل والأساليب ، واقترح بذلك أولا "المقتطف" إلى ترك اللغة العربية الفصيحة ودعا رجال الفكر وأصحابه إلى بحث اقتراحه ومناقشته ، ثم عضده بذلك القاضي ولمور أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر حين ألف في أوائل سنة ١٩٠٢م كتاباً سماه "لغة القاهرة" وأسس لها المبادئ والقواعد واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب ، كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية (الأدب والنصوص ، ص/٤٧) ولقي هذا الاقتراح إعراضاً شديداً ، وهاجم الناس عليه هجوماً شديداً ، كما هاجموا من قبل اقتراحاً سابقاً مزدوجاً يتناول اللغة والكتابة للطفي السيد ، الذي يسميه سلامة موسى "منشئ الوطنية المصرية الحديثة" .

إن أتباع الغرب في الحقيقة كانوا يقصدون وراء ذلك إعادة ما حققوا في الترك من أهدافهم الباطلة من حيث استبدلوا بالحروف العربية الحروف اللاتينية ، وذلك بعد ما تولى زمام الحكومة دمية الغرب والاستعمار في صورة الزعامة السياسية ، وهو مصطفى كمال الذي دعا الناس في تركيا على ما حمله عليهم من الأضاليل ، وكان في جملة ما سامهم من الأباطيل ، استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، (حاضر العالم الإسلامي ٣ : ٣٨٩ وما بعدها) وكان غرضه الوحيد وهدفه المنشود هو الاعتداء على الإسلام في كل صورة من صوره المتشعبة .

ولا أعجب من هذا أن عبد العزيز فهمي من أبناء اللغة العربية وعضو بارز من أعضاء مجمع اللغة العربية في مصر تقدم باقتراح كتابة العربية

بالحروف اللاتينية في السنة ١٩٤٣م ، وشغل المجمع ببحث اقتراحه في عدة جلسات ، امتدت خلال ثلاث سنوات ، ونشر في الصحف ، وأرسل إلى الهيئات العلمية المختلفة ، وخصصت الحكومة جائزة ، مقدارها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية (مجلة المجمع جمادى الآخرة ١٣٧٠ – أبريل ١٩٥١ ص/١٨ ، ٨٥ ، ١٧٠) فكأنه اقتراح حسن – كما يبدو – في صورة التيسير لكن أريد به الاعتداء على الإسلام في لغته بمثابة "كلمة حق أريد بها الباطل" .

سألت مجلة "الهلال" في سنة ١٩٣٢ ثلاثة من المشتغلين بالدراسات العربية هل ينبغي تغيير الحروف العربية ؟ وقدم المحرر لإجابتهم بقوله : (الهلال س/٤٠ ص/١٣٨٥ – ١٣٨٩) وفد على مصر في الشهر الماضي العلامة اللغوي الأب أنستاس الكرملي ، فأتاحت الفرصة لأحد محرري الهلال الاجتماع به ، فدار الحديث حول شؤون كثيرة تتعلق باللغة العربية ، وكان أهم ما تناوله الحديث مسألة إصلاح الحروف العربية حتى تسهل القراءة بها ، فأطلعنا جنابه على طريقة ابتكرها لإصلاح هذه الحروف ، فأحببنا أن نطلع القراء عليها ، وطلبنا أن يوافينا برأيه في هذا الموضوع ، كما طلبنا إلى عالمين جليلين أن يقولا كلمتهما في هذا الموضوع أيضاً ، وهما الأستاذ محمد فريد وجدي ، والأستاذ محمد مسعود ، وسيرى القارئ في هذه الردود الثلاثة آراء مختلفة ، له أن يحبذ منها ما يشاء" .

أما أنستاس الكرملي فهو يبدأ إجابته بأنه يرفض كتابة اللغة العربية بحروف غير حروفها ، لأن ذلك يقطع الصلة بيننا وبين تراث أجدادنا ، ولكنه لا يلبث أن يقترح بعد ذلك وضع الحركات في صلب الكتابة ، وتصوير الفتحة والكسرة والضمة بألف وياء وواو مشطورة بخط ، كما يقترح أشكالاً جديدة للحركات الأوربية التي لا نظير لها في العربية ، مثل حرف o, u, e ، وبذلك نرى أنه انتهى إلى مخالفة ما بدأ به .

أما محمد مسعود فهو يعارض أنستاس أشد المعارضة ، ويرى أن في الحروف العربية ميزة لا تتوافر في غيرها من اللغات ، وهي الاختصار ، ويقول : إن أقل إلمام بقواعد اللغة يغني القارئ عن الشكل الكامل ، فلا

يحتاج إلا إلى بعض الحركات توضع على حرف واحد أو حرفين في كل بضع كلمات ، مرشداً إلى الصواب في النطق ، وواقياً على كل حال من مزالق الأخطاء ، وهو يبين ما يترتب على تنفيذ اقتراح أنستاس من تعقيد وإضرار ، فمن ذلك تضخم الكتب المطبوعة ، والاضطرار إلى تغيير حروف الطباعة ، وهو بعد ذلك لا يرى ضرورة لمحاولة إيجاد مصطلحات كتابية لتصوير الحركات الأوربية التي لا مقابل لها في العربية ، فالعربية نفسها فيها من الحروف ومن الأصوات ما لا يوجد له نظير أو مقابل في اللغات الأوربية ، ثم إنه يقول متسائلاً : دع كل أولئك ، وقل لي فيما لو أخذ بأسلوب الأب المحترم ، ماذا يكون الشأن بإزاء القرآن الكريم ؟ أيطبق عليه وهو حرم مقدس منيع لا تتناوله طوارئ التبديل والتغيير ؟ أم لا يطبق ، فتكون في اللغة العربية طريقتان لتصوير الكلمات العربية ولفظها ، لا ائتلاف بينهما ولا اتصال ، فتتقطع بلغة العرب الأسباب ، وينثلم جدار القومية العربية ، وتنحل أواصر الدين ، بل وتعمل فيه معاول الهدم والتدمير .

أما فريد وجدي فهو يسلم بأن الكتابة العربية تحتاج إلى تعديل يحفظ قراءها من أن يذهب كل قارئ منهم مذهباً خاصاً به في قراءة كلماتها ، وهو يبين صعوبة الشكل على عمال المطابع وما يستنفد من جهدهم وجهد المصححين ، والكاتب لا يدعو صراحة للأخذ بالحروف اللاتينية ، ولكنه لا يعارضها في الوقت نفسها ، ويحس قارئ إجابته أن الخوف من الناس وحده هو الذي يمنعه من الجهر به .

وكتب طاهر أحمد الطناحي مقالاً عنوانه "هل يمكن إصلاح الحروف العربية" (الهلال ، أول مايو ١٩٤٣ – ١٧ محرم ١٣٥٣ – س ٤٢ ص/٨٢٩ – ٨٣٣) عرض فيه الأصول الأولى للكتابة ، التي انتهت إلى أن نقل عنها الخط العربي ، فقال : إنه منقول عن السوريانية والنبطية ، عن الآرامية ، عن الفينيقية ، عن الديموطيقية – وهو الخط الذي كان يستعمله عامة المصريين القدماء – عن الهيراطيقية – وهو خط الخاصة – عن الهيرو غليفية القديمة ، ثم تكلم عن التجويد والتحسين والتجميل الذي أدخله عليه كبار الخطاطين منذ "قطبة" في العصر الأموي ثم "ابن مقلة" ، ثم "علي بن هلال"

إلى ياقوت الرومي المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨هـ ، ثم تكلم عن شكل الحروف بعد أن اختلط العرب بالعجم فكثر اللحن ، ثم قال : وقد انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الإسلامية ، وكتبت بها اللغات التركية والفارسية والأردية والأفغانية والكردية والتترية والمغولية والبربرية والسودانية والزنجية والساحلية ، كما كتبت بها لغة أهل الملايو وغيرهم ممن يبلغون نحو ٢٥٠ مليوناً ، ما عدا نحو تسعين مليوناً يكتبون اللغة العربية بالخط العربي ، وإذا استثنينا أتراك الأناضول الذين استخدموا الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية الآن ، بقي عندنا هذه الأمم الكثيرة التي تكتب بالحروف العربية الحالية منذ نحو ألف سنة ، وقد دونت بها آدابها وعلومها وفنونها ، ثم يتساءل الكاتب فهل يمكن إصلاح الحروف العربية بعد هذا التطور الذي انتهت إليه بالحضارة الإسلامية ؟ لقد رأيت كيف اشتقت هذه الحروف وكيف تطورت حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن ، وقد كتبت بها العلوم والآداب وسائر الفنون في الأمة العربية وفي تلك الأمم التي انتشرت فيها الحضارة الإسلامية منذ ذلك التاريخ .

وكتب المستشرق الإيطالي نللينو عن "الحروف اللاتينية – هل تصلح للكتابة العربية" ؟ فبدأ حديثه بالكلام عن الانقلاب التركي في الحكومة الكمالية ، واستبدالها الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وبين أن سبب هذا التغير سياسي ، وهو محاربة العنصر العربي والدين الإسلامي ، فهم يريدون أن يزعموا أن المدنية التركية أقدم المدنيات – فهي تتصل بالمدنيات البابلية والآشورية القديمة ، ولا اتصال لها بالتمدن الإسلامي ، ولهذا نجد حملة قوية تمثلت في كثير من المظاهر ، كإبطال الأحوال الشخصية ، وتطبيق القانون المدني السويسري ، وإلغاء الطرق الصوفية ، وتغيير الزي ، ومحاكمة من يلبسون الطربوش ، والتزام مواعيد العمل في رمضان كالعادة وما إلى ذلك – ثم عارض نللينو اقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وبنى معارضته على أسباب منها :

١- أن الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية ، ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها

إلى الأبجدية اللاتينية الحالية ، لكي تعبر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف ج ، ح ، خ ، ش ، ط ، ظ ، ص ، ض ، ع ، غ ، ولاحتجنا كذلك إلى التمييز بين الحروف المتحركة الممدودة ، وبين الحروف المقصورة .

٢- ومنها أن الخط العربي يمتاز بميزة فذة ، وهي أن الخط العربي ليس فيه اختزال ، لأن طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال .

٣- ومنها أن استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي يستتبع نتائج خطيرة فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التي خلفتها الآداب الإسلامية في الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون ، وغيرها ، وكلها مدونة بالخط العربي ؟ وأمر كهذا فوق أنه خطر فهو متعذر ، لأن الحركات لها شأنها الكبير في الخط العربي ، وهي غير كبيرة الأهمية في اللاتيني ، ولأنه لا يمكن أن نتصور النفقات الطائلة التي تصرف في هذا السبيل من غير جدوى ، وإذا افترضنا أن المنفعة في إبدال الخط العربي لكان من الضروري أن يسبق هذا اتفاق بين الشعوب الناطقة بالضاد ، ولو كانت مصر وحيدة في اختيار الحروف اللاتينية فيكون هذا سبب انشقاق الوحدة العربية ، والآن مصر هي مركز الآداب والعلوم العربية في العالم الإسلامي ، فإذا تغيرت الحروف العربية فتخسر مصر هذا المركز الأدبي الممتاز (الهلال ، أول مارس ١٩٣٦ – ٧ ذي الحجة ١٢٥٤ س ٤٤ ص/٥١٧ – ٥١٩) .

اللغة العربية لغة حية : ومن ثم فإن اللغة العربية – مع جنودها المخلصين من أبناء العرب والمسلمين في طول الأرض وعرضها – على الرغم من مرور السنوات ، ودوران الأزمنة ، أتراحاً وأفراحاً ، صعوداً وانحداراً ، لم تزل ولن تزال لغة حية باقية بميزاتها الفذة وخصائصها المتشعبة على صفحات الزمان إلى يوم القيامة ، وذلك لأن الله عز وجل قد خصها وشرفها بإنزال القرآن المجيد ، ونزول القرآن فيها ضمان لبقاء اللغة بحياتها الزاهرة كما هو ضمان لبقاء حروفها الجميلة وخطها الوضاء ، كما قال الله عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر الآية/٩) فصيانة القرآن مستلزم لصيانة اللغة بتوابعها فالقرآن الكريم وقاية لها ومبعث خلودها .

وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

صور وأوضـــاع :

مرحلة اختبار للقيادات الإسلامية
وصلاحيتها لمواجهة الوضع ومعالجته

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

إن الأوضاع التي يعيش فيها المسلمون في العالم كله؛ سواء كانوا في قلة أو كثرة ، أقلية أم كانوا أغلبية ، تبعث على القلق ، والهم ، و تسوق الذين يحملون حساسية وانفعالاً زائداً ، إلى الشعور بخيبة الأمل ، والانهزامية ،فيفقدون أعصابهم ، ويأخذهم اليأس ،وخاصة بعد الأحداث المؤلمة في البلدان الإسلامية التي شهدت الثورات الشعبية ، وتكبدت خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات ، وظهر لأول مرة في التاريخ المعاصر الاتجاه الإسلامي وفوزه في كسب ثقة الشعب ، ثم ارتدت الأمور ، وأعيدت عقارب الساعة إلى الوراء ، وعاد النظام السابق ، وأجبرت الحركات الإسلامية على الانسحاب من ميدان القيادة ، وفرض عليها الوضع السابق ؛ وضع القهر والكبت ، والحرمان من الحقوق الشرعية ،لكن الذين لهم معرفة بتاريخ الإسلام والمسلمين ،يعرفون ما مرّ به المسلمون من محن وشدائد ،ونكسات وأزمات ، ثم أكرمهم الله به من عزة وكرامة وسيادة ، وما حدثت في التاريخ الطويل من مؤامرات وخيانات ،وما قام به القادة المخلصون والعلماء المصلحون ، من جهود لرأب التصدعات والتغلب على الأزمات ، وتوجت جهودهم بالنجاح والفوز ، فخرجت الأمة من أزماتها منتصرة .

إن الذين يقارنون الأوضاع الحاضرة ، بالأوضاع الماضية ، تزيدهم هذه الأوضاع القاهرة إيماناً ،وتبعث على العزم ، وتزيد الثقة في سداد الإسلام ،ويقيناً في أن النصر بيد الله ،وأن العاقبة للمتقين ،وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة بقوله : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب : ٢٢) إن تعوّدوا على التأمل والدراسة ،والمصابرة في مواجهة الشدائد ،

والمخاطرة في سبيل تحقيق الأهداف العليا ، ولم تكن نشأتهم في البيئة المادية ، ولا يثور مثل هذا الإحساس بالإحباط في نفوس من يدرس تاريخ الإسلام ، والمسلمين ، ويعرف المراحل الصعبة التي مرّ بها المسلمون ، والشدائد والاختبارات التي عانوا منها في تاريخهم الطويل ، ولم يكن علمه محصوراً على مجرّد الانتصارات التي حققها المسلمون الأوائل ، وفتح البلدان ، وإنشاء دولة إسلامية قوية واسعة الأجزاء؛ بل يتعدى علمه إلى المراحل السابقة؛ مراحل المحنة والبلاء ، وإلى فترات المحنة المتعاقبة .

إن الوقت ينقضي فيصبح لمحة خاطفة ،مهما طال ، واشتد على النفوس ، وتطوي به التجارب المريرة ، والمحن الشداد ، لقد كانت الانتصارات التي يتمجد بها تاريخ المسلمين ، ثمرة كفاح مرير ، وجهاد طويل ، كلّف كثيراً من النفوس الغالية ، وخسائر فادحة ،واشتمل على نكسات ، وفترات قلق ، وامتحنت فيها كفاءة المسلمين ، وصلاحيتهم للمصابرة والمثابرة .

كان فتح القسطنطينية في ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) مثلاً نتيجة محاولات بدأت في القرن الأول ، فقد حاصر المسلمون القسطنطينية إحدى عشرة مرة ، واشترك في الحملات الأولى كبار الصحابة في مقدمتهم مضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ،أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ،الذي توفي في حملة عام ٥٢هـ ودفن تحت أسوار مدينة القسطنطينية ، وتوج بهذا النصر السلطان محمد الثاني الذي اقترن باسمه لقب "الفاتح". ولم يكن فتح القدس قبل ذلك بقرون ، والذي حقّقه السلطان صلاح الدين الأيوبي إلا نتيجة لكفاح مرير طويل ، وقد سقط القدس في أيدي الصليبيين في عام ٤٩٤هـ ، وكان نصب عين الفاتحين المسلمين كعماد الدين ، ونور الدين الزنكي أن يحرّروا القدس ، وبذل جميعهم ما كان في وسعيهم لتحريره ، و قد أنشأ نور الدين الزنكي منبراً لوضعه في بيت المقدس ، بعد الفتح ، وتجرّع المسلمون خلال أكثر من ٩٠ سنة لاحتلال القدس المرائر ، وحاول الصليبيون تصفية المسلمين كلياً في المنطقة؛ ولكن تحقّق حلمُ تحريره في

عهد السلطان صلاح الدين في عام ٥٨٣هـ ، وأعيد تاريخه ، ومحيت آثار العدوان ، وأحييت معالم الإسلام .

لقد تعرضت مصر ، والشام لحملات صليبية مركزة ، وغلب الأعداء ، لكن هذه الهزيمة التي لقيها المسلمون ،كانت قصيرة ، ثم عادت هذه المنطقة إلى سيادتها ،لقد فرض الاستعمار الغربي على سائر البلدان الإسلامية شرقاً وغرباً ، وحاول طمس معالمها الإسلامية وإذابة ذاتيتها حتى القضاء على اللغة العربية ، لكن انحسر هذا الاستعمار أخيراً ، وكذلك الحكم الاشتراكي الغاشم الذي ساد في مصر والشام والعراق واليمن ، انقضى عهده .

استغرقت حروب التحرير أكثر من خمسين سنة ، وقدم المسلمون في هذه الحروب تضحيات جسيمة ، وكان الاستعمار في عهده الطويل مكباً على إزالة كل ما يدل على مجد الإسلام ، والقضاء على كل ما يمتّ إلى الإسلام بصلة ، من تغيير الأسماء ، وتغيير مناهج التعليم ، ونظام القضاء ، والثقافة ، وتغيير الخط ، وقام بتربية وتشجيع العناصر المناوئة للدين ، وتصفية العناصر الإسلامية لسلب هذه البلدان هُوِيَّتها الإسلامية ، ولكن عادت هذه الدول كلها إسلامية ، ولم يبق فيها إلا أذيال الاستعمار وحواشيه .

ولم يقدر الإعلام الغربي ، والتعليم الغربي ، والإدارة الغربية ، والجيش الغربي ، والمخابرات الغربية أن تغير هوية هذه الدول الإسلامية ، بل نشأ الإسلاميون في جامعات الغرب ، وكان من المصادفة الغريبة أن كبار الدعاة المعاصرين والكتاب الذين يردون على الغزو الفكري الأوربي ، هم من خرِّيجي الجامعات الغربية ، وكثير منهم نشأوا في أوربا نفسها ، وقد كان كثير من الشباب قبل انتقالهم إلى أوربا للتعليم أو للعمل ،غير متحمسين لدينهم ، وغير متبعين لتعاليم دينهم؛ لكنهم صاروا متحمسين لدينهم ،ومتبعين لتعاليم دينهم ومحتفظين بها ، وبهم ينتشر الإسلام ، وتوجد في هذه الطبقة صلابة إيمانية لا تقلّ عن الذين نشأوا في البيئات

الإسلامية التقليدية ،بل يفوق كثير منهم الناشئين في البيئات التقليدية في الحماسة الدينية والبطولة وروح التضحية للدين .

إن هذا الاتجاه أصبح ظاهرة منتشرة في أوربا ، وهو مشاهد في تكاثر المساجد ، والمراكز الإسلامية ، والمكتبات ودور النشر التي تساعد على اعتناق العقلاء ورجال العلم للإسلام ، ويتضح ذلك بما تنقله الصحف والمجلات من تقارير الإقبال على الإسلام في الأوساط العلمية ، وقبول شخصيات للإسلام بعد أن عاشت في جو الكراهية للإسلام زمناً طويلاً .

لقد حاربت أوربا الإسلام ، وسخرت قلوب الكثيرين ، من أبناء الأمة الإسلامية بنظام تبشيرها ، ووسائلها المادية ، وادعى أحد زعمائها أنه أعدّ نظاماً للتعليم يسلخ المسلمين من هويتهم الإسلامية ، فتكون أجسادهم ووجوههم كمسلمين ، ولكن أذهانهم وأفكارهم تكون خاضعة للمنهج الأوربي .

سلكت أوربا سياسة فرض سيطرتها على العالم الإسلامي عن طريق الحكام المسلمين والمثقفين الغربيين الذين يديرون دفة الحكم ، ويستولون على النظام ،وكانت سياسة هؤلاء الحكام قمع الحرية الدينية ، وكبت حركات العمل الإسلامي ، وفرض الحظر على الأحزاب السياسية ذات الاتجاه الإسلامي ، وكان اعتقاد قادتها أن العاطفة الإسلامية أصبحت مخمودة ،ولكن الثورات التي اكتسحت هذه الدول الخاضعة للحكام العسكريين ، أبرزت الاتجاه الإسلامي في الشعوب الخاضعة للحكم الاشتراكي ، وظهر هذا الاتجاه جلياً في الانتخابات ، وقد أيدت الدول الغربية هذه الثورات بوصفها الربيع العربي ، ولكن وصول أصحاب الاتجاه الإسلامي إلى الحكم أجبرهم على قلب مجرى الأحداث ، وإعادة سياسة فرض حكام يقومون بقمع الحركة الإسلامية ، ولو تطلب ذلك فرض حكم عسكري ، وقد اختارت هذه الدول هذه السياسة في الصومال وفي الجزائر وفي مالي أخيراً حيث وصل أصحاب الاتجاه الإسلامي إلى الحكم ، فتدخلت الدول الغربية عسكرياً .

إن الاستيلاء العسكري على بلد من البلدان الإسلامية أو الانتصار العسكري في معركة من المعارك أمر تكرر في التاريخ الإسلامي مراراً ، ومثل هذا الاستيلاء القاهر أمر مؤقت ، لأن هذه السياسة تؤدي إلى ردّ فعل ، وتثير العقول والمشاعر والعواطف ، فتتغير الأوضاع ولو بعد مدة من الزمن ، مهما طال القهر والكبت ،وإن من الحكمة أن تغير أوربا والخاضعون لها استراتيجيتها ويدركوا هذه الحقيقة ،فإن المتعاملين معها المنبثين في صفوف المسلمين ، لا يستطيعون قهر شعوبهم وكبت حريتها مدة طويلة ،وهذا هو الدرس الذي يجب أن يستفاد من الاتجاهات التي تلت الثورات في العالم العربي ، ولكن مجرى الأحداث الأخيرة يستدعي إلى أن تفكر أوربا في سياستها وتعترف بتنامى الشعور في الشعوب الإسلامية ، وتقر بأنها لم توفق في تغيير طبيعة العالم الإسلامي ، وأن الإقبال على الإسلام نال شعبية ،وإن هناك اتجاهاً جديداً يجب أن يعالجه العقل المسلم ، ويستعد لمواجهته بحكمة وذكاء ، وروية ، بدلاً من التهور والتسرع والانفعال .

وكذلك يجب في الأوضاع الحاضرة على الحركات الإسلامية أن توجه القوى إلى ما هو أرجح في المعالجة لهذه الأوضاع وأنسب ، كما يجب اللجوء إلى التدبر والتخطيط ، والحلم والأناة في عرض الإسلام ، ومعالجة القضايا المستجدة ، وغلبة روح التشاور والتفاهم ،وكسب ثقة الشعب وإزالة لما تروجه وسائل الإعلام من خطر وصول أصحاب الاتجاه الإسلامي إلى الحكم ، والوحدة ، ودراسة طبيعة الأمور واتخاذ سبل متكافئة لها .

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت : ٢ – ٥) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء : ٢٢٧) .

❖❖❖❖

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي

(تفسير القرآن بالقرآن)

(البقرة : ١٤٢ – ٢١٦)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم :

قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة الآية/١١٥) .

وكذلك جعلناكم أمة وسطا :

قال الله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (سورة الحج الآية/٧٨) .

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم :

قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية/٢٠) .

كما أرسلنا فيكم رسولاً يتلوا عليكم آياتنا :

قال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة البقرة الآية/١٢٩) .

وقال : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٦٤) .

فلا تخشوهم واخشون :

قال الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ

الإِسْلامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية/٣) .

ولنبلونكم بشيئ من الخوف والجوع ..... وبشر الصابرين :

إنباء بقتال اليهود ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ❖ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ❖ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (سورة آل عمران الآيات/١٥٦ – ١٥٨) .

وقال الله تعالى : ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٢٨) .

إن في خلق السماوات والأرض :

الخطاب للكفار .

إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ، وأن تقولوا على الله ما تعلمون :

قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (سورة يونس الآية/٥٩) .

إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله :

قال الله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية/٣) .

وقال تعالى : ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ❖ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ❖ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنعام الآيات/١٢٠ – ١٢٢) .

وقال : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النحل الآية/١١٥) .

إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب :

فبينوا ولا تكتموا أيها المسلمون ، والأحكام بينة .

أياماً معدودات :

قال الله تعالى : ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ (سورة هود الآية/١٠٤) .

هدى للناس :

القرآن كتاب هداية ، وتوجد فيه دلائل نظرية وبديهية أيضاً .

ولتكبروا الله على ما هداكم :

الصوم للدعاء .

يسألونك عن الأهلة :

قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة يونس الآية/٥) .

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا :

قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (سورة النساء الآية/٧٦) .

وقال : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ (سورة النساء الآية/٨٤) .

ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة :

قال الله تعالى : ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة الآية/٤١) .

ليس عليكم جناح أن تبتغوا :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ

الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً﴾ (سورة المائدة الآية/٢) .

ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس استغفروا الله :

فإن الحج هو الاستغفار .

ومن الناس من يشري نفسه :

قال الله تعالى : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة الآية/١١) .

من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يسلم .

ادخلوا في السلم كافة :

قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٢٨) وقال تعالى : ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٨٧) ، وقال تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الأنفال الآية/٦١) وقال تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنعام الآية/٥٤) .

هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الملائكة :

قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾ (سورة النحل الآية/٢١) .

وقضي الأمر :

قال الله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية/٦٦) .

سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ... :

قال الله تعالى : ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ❖ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة الأنفال الآيتان/٥٢ – ٥٣) .

وقال : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (سورة الرعد الآية/١١) .

والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ❖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ❖ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ❖ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ ❖ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ❖ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ❖ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ❖ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة التطفيف الآيات/٢٩ – ٣٦) .

وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ❖ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة يس الآيات/٧١ – ٧٣) .

كان الناس أمة واحدة :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء الآية/٩٢) وقال : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة يونس الآية/١٩) .

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين :

قال الله تعالى : ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ❖ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ❖ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة يونس الآيات/١ – ٣) .

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبل :

قال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٤٠) .

وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ

الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ❖ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة يوسف الآيتان/١٠٩ – ١١٠) .

وقال : ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ ❖ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ (سورة الأحزاب الآيتان/١٠ – ١١) .

وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم :

قال الله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٩) .

كتب عليكم القتال وهو كره لكم :

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (سورة النساء الآية/٧٧) .

يسألونك عن الخمر والميسر :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة الآية/٩٠) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (سورة النساء الآية/٤٣) وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٩٠) .

كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون :

أي في مصالح الدنيا والآخرة لأجل الإنفاق .

من الشعر والأدب :

خير المهور

رأى أحد الصالحين في منامه فتاة حسناء ، فطلبها للزواج فقالت له : إن صداقي أن تداوم على قيام الليل فعزم على ذلك ، وقص رؤياه على رفاقه

بقلم : الداعية الإسلامي : محي الدين عطية

رأى في نومه يوماً ، عروساً ... كأحلى ما تتيه به النّساء

دنا منها ، وقال لها اقبليني ... شريكاً في الحياة بلا مراء

فقالت إن ملكت صداق عرسي ... قيام الليل ، فزت بما تشاء

فعاهد ربه صدقاً بألاّ ... يفرط ، بعدها ، في ذا العطاء

وأبلغنا برؤياه ، احتساباً ... ويطمع أن نكيل له الدعاء

وداعاً ، فلذة الكبد ★

وهب الإله لنا ريحانة عبقت ... في بيتنا ، وأضاءت في زواياه

كم راودته وراء السحب أنجمها ... لكن رسالته كانت بيمناه

كان الكتاب عروساً لا يفارقه ... والعلم زورقه ، والحق مرساه

أبناؤه جيل ، يرتاد مسلكه ... يبغي الهداية ، والرحمن يرعاه

سبحان من كانت في صنعه حكم ... شاءت إرادته أن يلق مثواه

قد خلف العلم كي يبقى له سنداً ... بعد الرحيل ، وأن تخضرّ أُخراه

هلاّ رفعنا أكف الخير ضارعة ... أن يجعل الله في الفردوس سكناه

(★) وفاة الابن الدكتور هاني محيي الدين عطية يوم ٢٠١٢/١٢/١٩م .

أخبار اجتماعية وثقافية :

ندوة علمية لمجمع الفقه الإسلامي (الهند)

قلم التحرير

نظم مجمع الفقه الإسلامي (الهند) ندوة علمية حول عنوان : "مهارات البحث والتحقيق في القضايا المعاصرة ومصادره المطبوعة والإلكترونية ، ونماذج تطبيقية من القضايا المعاصرة" .

وذلك في الفترة ما بين ٢٣ – ٢٧ شوال ١٤٣٤هـ ، الموافق٣١/أغسطس ٤/سبتمبر ٢٠١٣م في مدينة دلهي الهند ، وبالاشتراك مع مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة بجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، (المملكة العربية السعودية) ، وقد مثلها في الندوة فضيلة الشيخ الدكتور عياض بن قاضي السلمي مدير مركز التميز البحثي ، وألقى كلمة ضافية عن الموضوع وتحدث عن إنجازات هذا المركز وبرامجه وأهدافه ، كما أن المدعو الخاص في الندوة كان صاحب السعادة الدكتور سعود بن محمد الساطي ، سفير خادم الحرمين الشريفين بسفارة المملكة العربية السعودية في دهلي الهند .

أما ضيوف الشرف للندوة فهم العلماء الكبار من المملكة العزيزة ، وأسماؤهم كالآتي :

١- فضيلة الشيخ الدكتور يوسف بن عبد الرحمن الرشيد .
٢- فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن صالح الطيار .
٣- فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشبل .

افتتح الندوة نائب الرئيس للمجمع فضيلة الشيخ بدر الحسن القاسمي ، مدير الإصدارات الجديدة في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، ورأس الحفل الافتتاحي الدكتور سعيد الأعظمي ، مدير دار العلوم لندوة العلماء الهند .

والكلمة الرئيسية في الحفل الافتتاحي ألقاها فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني الأمين العام للمجمع ، تحدث فيها عن الموضوع واستفاض في شرح ذلك بغاية من التفصيل ، استمع إليها الحاضرون واستفادوا منها في مناح عديدة من الفقه الإسلامي وجوانب جديدة منه .

وقد تحدث في الحفل الافتتاحي فضيلة الشيخ عتيق أحمد البستوي سكرتير الشؤون العلمية ، وأستاذ الفقه الإسلامي في دار العلوم لندوة العلماء ،

وشكر القائمين على الندوة والضيوف الكرام الذين شرفوا الندوة وعززوها بأفكارهم القيمة وآرائهم السديدة ، وقد أدار الحفل الافتتاحي فضيلة الشيخ محمد عبيد الله الأسعدي (سكرتير الندوات للمجمع) .

واستمرت حفلات الندوة للبحث والنقاش إلى عدة أيام حول الموضوعات الفقهية المعاصرة والقضايا المستجدة في المجتمعات الإنسانية الراهنة وسوف تصدر القرارات حول الموضوع ، من مجمع الفقه الإسلامي (الهند) .

وفد علماء ماليزيا يزور ندوة العلماء

في اليوم الخامس والعشرين من شهر سبتمبر ٢٠١٣م ، ١٨/من ذي القعدة ١٤٣٤هـ زار ندوة العلماء وفد كريم من علماء وأدباء ووزراء من ماليزيا ، جامعة ندوة العلماء ، بقيادة الأستاذ عبد الله يعقوب الندوي رئيس مجلس النواب في ولاية كالينتن ، وكان من بين أعضاء الوفد رؤساء الشئون الدينية ووكلاؤهم لهذه الولاية ، وكان الغرض لهذه الزيارة هو الاطلاع على برامج ندوة العلماء التعليمية والدعوية والتربوية ومشاهدة نظامها التعليمي الخاص عن كثب .

رحب بالوفد مدير دار العلوم لندوة العلماء الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، وعميد كلية اللغة العربية وآدابها فضيلة الأستاذ نذر الحفيظ الندوي في القاعة العباسية حيث عقد مجلس لتبادل التحيات وألقى فيه كلمة ترحيبية مدير الجامعة وبين فيها أهداف حركة ندوة العلماء ومناهجها التعليمية والدعوية ، وتمسكها بذيل القصد والوسطية ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع .

كما قد رحب بالوفد فضيلة الشيخ السيد سلمان الحسيني الندوي في قاعة المحاضرات لكلية الإعلام والدعوة ، والشيخ عبد العزيز الباتكلي الندوي في القاعة السليمانية ، وقد قام الوفد بزيارة جميع أقسام وكليات ومراكز الدراسة والتدريب في دار العلوم ، كما زار المطابخ الثلاثة ومساكن الطلاب للاطلاع على كيفية السكن وآداب المعايشة ، وفي الأخير وصل الوفد الكريم إلى مقر المجمع الإسلامي العلمي ، والمكتبات العامة ، ودور مطالعة الطلاب في الأروقة التي يسكنونها ، وأعلن قائدهم أن الوفد سيكون همزة وصل بين ندوة العلماء والجامعات الإسلامية في ماليزيا ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الزيارة مبعث خير كبير في جميع المجالات العلمية والدينية والتعليمية والثقافية ، وأخيراً قال قائد الوفد : نحن نتمنى لندوة العلماء مزيداً من الازدهار والتقدم والتطور وأن يكون هناك تبادل ثقافي بين الهند وماليزيا بمشيئة الله تعالى .

إصدارات جديدة :

أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية

قلم التحرير

أهدي إلينا هذا الكتاب القيم سعادة الأخ المفضال الدكتور جمال الدين الفاروقي ، الذي قام بتأليف هذا الكتاب باللغة العربية الجميلة ، وقد ساعده في ذلك الأستاذ عبد الرحمن محمد (محاضر كلية روضة العلوم العربية بفاروق) والأستاذ عبد الرحمن حسن ، وتفضل بنشر الكتاب مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) .

والكتاب يحتوي على دراسة وافية لأعلام المؤلفين باللغة العربية في بلاد الهند في مختلف العصور ، ويتوزع على أربعة أبواب بدءاً من عهد العرب والسلاطين ، وعهد المغول إلى عهد الاحتلال الإنجليزي ، والعصر الحديث ، وقد بلغ عدد هؤلاء الأعلام المذكورين لهذه العهود في الكتاب إلى أربعة وأربعين شخصاً ممن أثروا تاريخ الهند العلمي والأدبي والديني والثقافي في عصورهم ، وخلفوا لمن أتى أو يأتي بعدهم تراثاً غالياً من العلم في جميع مناحي تاريخ الهند الإسلامي ، وليس عدد هؤلاء الأعلام على سبيل الحصر ، بل الواقع أنهم هم الذين تجمل بهم تاريخ هذه البلاد ، وهم الذين لا تعرف الهند إلا من خلال إنجازاتهم وأعمالهم العلمية والتاريخية التي قاموا بها رغم ضآلة إمكانياتهم وقلة وسائلهم ، ولكن بوضع طاقاتهم كلها فيما يعود بنفع طائل للجميع وعلى كل المستويات ، وإنني أرى أن هؤلاء الأعلام مفخرة التاريخ الإسلامي ، لا للهند وحدها ، بل للعالم كله ، وكل شخص مهما كان وفي أيّ بقعة من العالم كان ، لا يكاد يستغني في مجال التوعية الثقافية والمعرفة العلمية عن دراسة حياة الأعلام الذين يعتبرون من بُناة التاريخ ورافعي منارة العلم والدين من خلال نشاطاتهم ومجهوداتهم التي سجلها هذا الكتاب وخلد ذكرها وعرّف وجه تاريخ الهند المشرق إلى جميع الأجيال الآتية .

هذا الكتاب هدية غالية لإخواننا العلماء والأدباء وأصحاب التاريخ

والثقافة في العالم الإسلامي العربي بوجه خاص ، وزينة تتزين بها المكتبات العلمية والتاريخية في العالم كله ، كما أنه حصيلة دراسة تاريخية لطلبة الجامعات والمدارس الإسلامية الذين هم مكبون على إعداد المؤلفات والرسائل العلمية للحصول على شهادات عالية في هذا الموضوع .

هذا الكتاب جدير كل الجدارة بأن يحل محلاً عالياً كريماً في أوساط العلم والدين والثقافة وتاريخ الرجال ، ولدى المكتبات العالمية الكبرى في العالم ، ذاك أنه مصدر تاريخي كبير باللغة العربية للاطلاع على تاريخ البلاد الهندية في مجال اللغة العربية .

إننا نهنئ المؤلف الكريم على إنجازه هذا العمل الضخم ، وتزويده طلاب العلم والمعرفة بهذا الزاد العلمي التاريخي الغني الدسم بمشيئة الله تعالى ، ونرجو الله سبحانه أن يجزي المؤلف الكريم وصاحبيه أحسن ما يجزي به عباده المؤمنين العاملين .

٢- مذكرات رحلة حج ، لأميرة بوفال سكندر "بيجوم"

قامت أميرة بوفال (عاصمة الولاية المتوسطة في الهند) سكندر بيجوم برحلة لأداء فريضة الحج في عام ١٨٦٣م الموافق ١٢٨٠هـ ، مع نخبة من مسلمي بوفال بلغ عددهم ألف وخمس مأة شخص ، ومعظم العدد كان للنساء ، فوصلت قافلة الحج هذه إلى ميناء جدة في ١٣/شعبان ١٢٨٠هـ ٣/يناير ١٨٦٤م ، وقدر لها أن تتشرف بأداء فريضة الحج وقضاء مدة مباركة في الحرمين الشريفين ، لكي تتمكن الزيادة في عبادة الله تعالى والعطف على أهل الحاجات ، واللقاء مع الحكام والأشراف ، والاطلاع على ما أودع الله تعالى في هذه الأرض المقدسة من الحب والشوق وأعمال الطواف والحج إرضاءً لله تعالى فقط .

أقامت الأميرة ستة أشهر في الربوع المقدسة وقضت خلالها أياماً سعيدة جداً ، ووُفقت خلال إقامتها إلى كتابة مذكرات رحلة الحج باللغة الإنجليزية التي كانت تحمل في طيها كثيراً من المعاني والمعلومات ، فصورت كلها تصويراً صادقاً أجدر به أن يُنقل إلى اللغة العربية لتعميم نفع هذه الرحلة وصورها الصادقة إلى الناطقين بالضاد ، وقد قام بهذا العمل

الجليل سعادة الدكتور إبراهيم بن محمد البطشان أستاذ بجامعة القصيم وسعادة الدكتور ثمامة فيصل بن أبي المكارم أستاذ بجامعة مولانا آزاد :

وحسبنا أن نقرأ ما جاء في مقدمة هذا الكتاب لكي تتضح لنا صورة هذه الرحلة بغاية من الوضوح .

"هذه مذكرات رحلة حج النواب الأميرة سكندر بيغم ، كتبتها بعد أن أمضت في الحجاز نحو ستة أشهر حجت في أثنائها ، نقلناها إلى العربية من الإنجليزية ، وأسميناها : مذكرات رحلة حج ، وكان عنوانها (A, Pigrimage to Mecca) .

وقد كانت الكاتبة في تلك الفترة التي قضتها هناك تنظر إلى الأشياء والناس والحياة ، فصورت المجتمع في الحجاز بعيني حاكمة حازمة جريئة ، تحكم بلاداً واسعة ، وأناسي كثر ، تحتطب بحبال أقوى امبراطورية في عصرها .

نرجو أن تقدم هذه الترجمة لقراء العربية إضافة جديدة ، وأن تستثير أقلام الباحثين في تاريخ الحجاز في كل مناحيه السياسية والاجتماعية .

هذا ، والشكر مزجى لمن ساندنا وساعدنا وهم كثر والحمد لله أولاً وآخراً ، وهو حسبنا ، وعليه اتكالنا"

٣- تطور الآداب العربية ومراكزها في الهند

وصل إلى أسرة المجلة هذا الكتاب الذي ألفه فضيلة الدكتور أشفاق أحمد ، أستاذ بجامعة آسام سيلتشار ، الهند ، يتضمن تاريخ انتشار اللغة العربية وآدابها في الهند ، والصلات الوطيدة التي وجدت منذ فجر التاريخ الأدبي إلى العصر الحديث بين الهند والعالم العربي ، وهو يحتوي على أربعة فصول :

الفصل الأول : يشمل تاريخ الصلات الأدبية واللغوية بين هذين البلدين في عهود مختلفة ، يتحدث فيه المؤلف الكريم بدءاً من العلاقات التجارية قبل الإسلام في مجال اللغة والأدب إلى الدوافع الدينية ودورها في انتشار اللغة العربية في الهند ، ويذكر في الفصل الثاني تطور اللغة العربية في العهود الإسلامية المختلفة .

كما أنه يتحدث في الفصل الثالث عن الحركات الإسلامية ، ومراكز الدراسات العربية في العهد الحديث ، وقد خص بالذكر في هذا الفصل ندوة العلماء (في القسم السادس والسابع من الكتاب) بعنوانين بارزين :

- ندوة العلماء وفكرتها العلمية والتعليمية والدينية .
- ندوة العلماء ودورها في تطور الدراسات العربية .

أما الفصل الرابع فيختص بذكر مؤلفات الهنود العربية من العهد الأول إلى العهد الحديث .

والكتاب في الواقع موثق حول الموضوع الذي يحتوي عليه ، وجدير بالاستفادة والانتفاع .

٤- النثر العربي المعاصر في الهند

وهذا كتاب آخر للمؤلف الكريم نفسه حول تاريخ النثر العربي المعاصر في الهند ، جمع فيه معلومات حول الموضوع ، ولكن لم يساعده الحظ على الاستفادة من المراجع الأصيلة والمصادر السليمة في تنسيق الموضوع ، وقد خانه الترتيب التاريخي والتعمق العلمي في كتابة الحقائق التاريخية ، وإعطاء أدباء اللغة العربية وكتابها والقائمين بنشرها وتعليمها في بلاد الهند حقهم الطبيعي .

أرجو أن لا يفوته التحقيق والبحث والتوفيق في جمع المعلومات الصحيحة من مصادرها الواقعية ومراجعها المعلومة في الطبعات القادمة .

٥- نظام الوقف في الإسلام

هذا الكتاب من إصدارات مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء الهند ، ألفه فضيلة الشيخ محمد ظفر عالم الندوي ، كرسالة موضوعية عن نظام الوقف في الإسلام بإشراف فضيلة الشيخ الجليل خالد سيف الله الرحماني وهو الذي تناولها بالتصحيح ، ثم وافق على طباعتها ككتاب ، رئيس ندوة العلماء العام ، سعادة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي .

والكتاب يحتوي على ستة أبواب : الباب الأول في بيان معنى الوقف ،

وأركانه وحكمته وشرعيته ، الباب الثاني يتضمن بيان محل الوقف وأنواع الأوقاف ، والثالث يشتمل على معنى الوقف والواقف والموقوف والموقوف عليه ، وشروط كل ذلك ، وما يتعلق بها .

أما الباب الرابع فيحتوي على بيان مصارف الوقف ممن يستحقون فوائده .

والباب الخامس في بيان من يتولى الوقف وتصرفاته ، والسادس يشمل أحكاماً تتفرع من الوقف مما يتصل بالمساجد والمقابر ومصلى العيد .

وقد أثنى على هذا الكتاب فضيلة الشيخ فقيه العصر خالد سيف الله الرحماني قائلاً : "إنني لواثق جداً بأن هذا الكتاب متفرد في اللغة الأردوية في موضوع الوقف بشموله جميع قضايا الوقف وهو كتاب مفيد ، وفيه معلومات كافية عن نظام الوقف الإسلامي" .

كما أن هذا الكتاب يتحلى بتقديمات عديدة بأقلام العلماء وبمقدمة خاصة بقلم سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي .

فجزى الله المؤلف الكريم على هذا العمل المفيد الذي حالفه فيه التوفيق ، والله ولي التوفيق .

❖❖❖

كما قد وصلت إلى مكتب البعث الإسلامي ، عدة رسائل :

إحداهما بالعربية باسم (**تاريخ الإسلام وثقافته في الهند وباكستان**) بقلم فضيلة **الشيخ عبد الرشيد الندوي** مدير مكتب عميد "كلية الدعوة والإعلام" للكمبيوتر .

والرسالة الثانية باللغة الأردوية بقلم العلامة المغفور له **الشيخ محبوب الرحمن الأزهري** باسم (سفر قاديان) نشرتها الجمعية المركزية لتبليغ الإسلام في كانفور .

والرسالة الثالثة باسم (**الإخوان المسلمون من الشنق إلى الحكم**) باللغة الأردوية ، وبقلم **الدكتور محمد أنظر الندوي** ، الأستاذ المساعد للغة الأردوية في جامعة حيدر آباد للغات الأجنبية واللغة الإنجليزية) .

❖❖❖

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ الحاج السيد غلام محمد الفتني إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله ، بالحاج السيد غلام محمد الفتني في ١٨/من شهر سبتمبر ٢٠١٣م الموافق ١١/من شهر ذي القعدة ١٤٣٤هـ ، صباح يوم الأربعاء في بمبائي حيث تقيم أسرته منذ مدة طويلة ، وكان قد أصيب بمرض السكر وآلام الركبة ، ورغم معالجات ناجعة لم يُكتب له الشفاء الكامل وانتقل إلى رحمة الله راضياً مسروراً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل من مواليد ١٩٢٧م في بلدة ويراول بولاية غجرات الهند ، وقد وفقه الله تعالى لخدمة الدين والجلوس في مجالس العلماء والدعاة ، ومن بينهم العلامة المقرئ فضيلة الشيخ محمد طيب القاسمي (رحمه الله) رئيس جامعة ديوبند الإسلامية ، وسماحة العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني يرحمه الله رئيس ندوة العلماء سابقاً ، والعالم الرباني الشيخ أبرار الحق الهردوئي رحمه الله – والعالم الجليل فضيلة الشيخ المقرئ السيد صديق أحمد الباندوي رحمه الله ، فقد كان منزله في بمبائي مقر هؤلاء العلماء والمربين والدعاة وأصحاب القلوب النيرة .

كان الحاج غلام محمد الفتني ذا علاقة وطيدة بندوة العلماء ورجالها ومعجباً برسالتها ودعوتها ، فاختير عضواً كريماً للمجلس التنفيذي أولا ، ولمجلس الرئاسة بعده ، حتى جمع بين العضويتين ، وأدى حقهما بغاية من الاهتمام والرعاية .

وقد عقدت حفلة تعزية وتأبين بعد وفاته في مكتب رئيس ندوة العلماء العام ، سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي تحت رئاسته قال فيها : كان الراحل الكريم من كبار تجار هذه البلاد وكان ذا علاقة وطيدة بندوة العلماء ورجلها العظيم سماحة العلامة الشيخ الندوي ، وقد قام بدور كبير بحكم مكانته التجارية في توفير الوسائل المالية لندوة العلماء في مختلف مدن الهند ومناطقها ، وقد تحدث سعادته عن

حسن أخلاقه ولين طبيعته ، وسعة قلبه ورحابة صدره ، وحبه وولوعه بالعلم والعلماء ، وكان من كبار الخيرين ، يحث إخوانه وأصدقاءه على إنفاق الخير في سبل الله تعالى .

ندعو الله تعالى أن يتغمد المرحوم بالرحمة والمغفرة ويسكنه فسيح جناته ويُكرم أهله وذويه بالصبر الجميل .

وقد حضر الحفل كل من سعيد الأعظمي مدير جامعة ندوة العلماء وسعادة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي معتمد التعليم لندوة العلماء والبروفيسور أطهر حسين الخالدي معتمد المالية والشيخ السيد محمد حمزة الحسني الندوي الأمين العام لندوة العلماء ، وفضيلة الأستاذ الشيخ نذر الحفيظ الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها ، والسيد شاهد حسين خان مساعد مكتب الرئاسة والأمين العام .

ندعو الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويغفر له زلاته ويسكنه جنات النعيم ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

الأستاذ الدكتور السيد عبد الباري في ذمة الله تعالى

فوجئت أوساط العلم والدين والأدب بنبأ وفاة الأستاذ الدكتور السيد عبد الباري ، الذي نال شهرة واسعة في مجالات العلم والدين والدعوة والأدب منذ مدة لا بأس بها في ولاية أترا براديش ، كان من الرجال المعدودين في مجال العلم والثقافة ، وكانت له علاقات بالمراكز التعليمية والثقافية في لكهنؤ ودلهي ، وكان عضوا في الجماعة الإسلامية ، وكان مقبولاً بحسن خلقه ، وسعة معلوماته ، وثقافته الواسعة وكتاباته الأدبية وعقيدته الراسخة ، لدى كل طبقة ، وكان من سكان بلدة "تانده" بمديرية فيض آباد .

انتقل إلى رحمة الله يوم الأحد أول سبتمبر ٢٠١٣م المصادف ٢٣/من شهر شوال ١٤٣٤هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من المعجبين بسماحة العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وبندوة العلماء ورجالها ، فطالما كان يزور مقر ندوة العلماء ويستفيد من مجالس العلامة الندوي (رحمه

الله) وخلفه الكريم سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام ، كما كان عضواً مهما لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ويتابع نشاطاتها ويشارك ندواتها بأفكاره ومقالاته .

كانت وفاته خسارة كبيرة للعمل الإسلامي كما قد اعتُرف بذلك في جلسة عزاء أقيمت للتعبير عن الأسف على وفاته وتعزية أسرته العلمية والدينية ، ولذويه وأهله ، وذلك برئاسة سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، وقد حضرها كل من أعضاء الرابطة وأساتذة الأدب العربي وعلوم الحديث ، تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له خطاياه وزلاته وجعله من عباده المكرمين في جنات ونعيم .

الحاج عبد الرؤوف خان أحد تجار لكهنؤ المتدينين إلى رحمة الله تعالى

أفادتنا أسرة الحاج السيد عبد الرؤوف خان تاجر المعادن الكريمة والحلى الذهبية والفضية ، في غربي مدينة لكهنؤ القديمة بوفاته يوم الخميس ١٩/من شهر سبتمبر ٢٠١٣م الموافق ١٢/من شهر ذي القعدة ١٤٣٤هـ ، وقد نزل الخبر كصاعقة بأصدقاء المرحوم وأوساط التجار في مدينة لكنهؤ ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من التجار المتدينين المحافظين ، يحب العلماء وأصحاب العلم والتربية ، وكان من محبي ندوة العلماء ورجالها سماحة العلامة الندوي رحمه الله ، ونحن إذ نعزي نجله العزيز محمد معروف خان وجميع أنجاله وأعضاء أسرته وذويه ندعو الله سبحانه أن يناله برحمته الواسعة ومغفرته الخاصة ويسكنه فسيح جناته ، ويلهم الجميع الصبر والتوفيق لدعاء المغفرة له .

والد الأخ العزيز أختر سهيل إلى رحمة الله تعالى

أخبرنا الأخ العزيز أختر سهيل بأن والده الشيخ الحاج عبد الحفيظ جاء من القرية إلى مدينة لكهنؤ للعلاج ، إذ كان يشعر بألم في معدته منذ أسبوع كان لا يفارقه بعلاج في القرية ، فدخل مستشفى "سحر" في لكهنؤ وكان من المقرر بعد الفحص لدى الأطباء البارعين أن تجرى عملية جراحية في المعدة لإزالة التواء الأمعاء الذي كان أصيب به ولكنه قبل موعد إجراء

العملية بساعة فارق الحياة وانتقل إلى رحمة الله تعالى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

حدث ذلك مساء يوم الثلاثاء ١٧/من شهر ذي القعدة ١٤٣٤هـ الموافق ٢٤/من شهر سبتمبر ٢٠١٣م ، في المستشفى نفسه ، وفور ذلك نقل جثمانه إلى قريته بمديرية غونده بولاية اترابرديش الهند .

ونحن إذ نعزي الأخ سهيل واخوته وأقارب الأسرة والقرية نبتهل إلى الله أن يكتب للمرحوم أجر المعاناة ويتناوله بالرحمة والمغفرة ويسكنه فسيح جناته في آخرته ويلهم الجميع الصبر والسلوة .

رحيل والدة فضيلة الأخ
الدكتور محمد أكرم الندوي إلى رحمة الله تعالى

أفادنا مصدر عليم بوفاة والدة فضيلة الأخ الدكتور محمد أكرم الندوي المقيم في انجلترا لمهمات تعليمية ودعوية منذ مدة لا بأس بها ، وهو من خريجي جامعة ندوة العلماء في التسعينيات من القرن المنصرم ، وقد وُفق إلى إنجاز أعمال علمية ودعوية وتعليمية هناك ، كما قد وفقه الله تعالى لتدوين تاريخ المحدثات في الإسلام ، والحمد لله قد تم عمله في مجلدات ضخمة وهو في طريقه إلى الطباعة بمشيئة الله تعالى ، الأخ الكريم محمد أكرم الندوي من مديرية جونفور بولاية أترابرديش الهند ، التي تعتبر مركزاً علمياً كبيراً بعلمائها ومحدثيها ومفسريها من أيام المملكة اللودية التي وجدت في القرن الخامس عشر الميلادي بعد سلالة الملك بابر ، وكان تركيزهم على جونفور وإنشائها مركزاً كبيراً للعلم والعلماء ، وللعلوم والفنون .

انتقلت والدة الدكتور أكرم الندوي في مقرها بجونفور يوم الخميس ١٩/من شهر ذي القعدة ١٤٣٤هـ الموافق ١٩/من شهر سبتمبر ٢٠١٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ نعزي فضيلة الأخ الدكتور محمد أكرم الندوي وجميع أعضاء أسرته وأهله وذويه نتضرع إلى الله تعالى أن يتغمدها برحمته ويغفر لها زلاتها ويسكنوا فسيح جناته .

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٨/عاماً بالاستمرار ، والمجلة الآن في عامها التاسع والخمسين ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لها جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين فيها باستمرارية تامة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفه باهظة ، ولا سيما بعد تضاعف أجرة البريد وأسعار الطباعة والورق والترصيف ، فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم :

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ندوة العلماء – لكناؤ ٠٤- ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)